الطـريق إلـي القـمــر

أيمن إبراهيم

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : الطـريق إلـي القـمـر

المؤلف : أيمن إبراهيم

تدقيق لغوي : فارس عوض

تصميم الغلاف : محمد دربالة

رقم ايداع: 23555 - 2019

ترقيم دولي: 978-977-85604-0-4

دار مسار للنشر و التوزيع

01020439639

massar.pub1@gmail.com

ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

أيمن إبراهيم

الطريق إلي القمر

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

إهداء أول

إلي أبي و أمي.. إلي نسمة وروعة إخوتي.. إلي رفيقة حياتي رضوى.

.

إهداء ثانٍ

كان هناك شاباً يعمل كعامل نظافة في العاصمة السلوفاكية -براتيسلافا-، كان يحب فتاه و كانت تحبه، و لكن عندما أخبرها عن عمله بدأت تتهرب منه و تبتعد عنه و لم تكن لديها الشجاعة لتصارحه بذلك، و في يومٍ ما وعدته علي شرب القهوة معه و لكنها أخلفت وعدها و لم تأتي، ظل ينتظرها كل يوم . . في نفس التوقيت . . و في نفس المكان، تعاطف معه أصدقاؤه و كانوا يُجالسونه لشرب القهوة معه و مواساته.
بعد وفاته . . أُقيم له تمثالاً يرتدي قبعة و ملابس عمال النظافة و بُني مقهي بجانبه لتأتي الناس لشرب القهوة معه و التعبير عن حبهم له حتي أن القبعة أصبحت ملساء و تغير لونها من أثر تحية الناس عبر مسحها.

أُهدي لك و لقبعتك العظيمة هذه الرواية . .

-الإنسان قطعة موسيقي ليست بالضروري أن تُدرك حتي تُحس-

- آلان واتس

الفصل الأول

يقولون أن السعادة تكمن في الإنسان نفسه و ليس في الأشياء من حوله، هكذا الحب ينبع من قلب كل إنسان حتي و إن كان يعيش وحيداً، و لكن من في حياتنا اليوم يفكر بهذه الطريقة !. . من الآن يفكر في شيء إسمه حب أو سعادة، إنهم و للأسف قلائل و لكنهم في الحقيقة هم السعداء. .
فعندما تشرق شمس كل يوم و أذهب لعملي أشعر في طريقي و كأني مختلفة عن الناس من حولي، الجميع عابسون . . متشائمون. لا يبتسمون دون أي داعي لذلك و تتكرر هذه الوجوه أيضاً عندما أصل لعملي و هكذا كل يوم دون جديد .
فأنا (نور عبد الرحمن) أعمل في مجال الصحافة و أعمل كروائية أيضاً و لكن من نوعٍ خاص، فأنا انشر روايات لا اكتبها لأنها ببساطة ليست من تأليفي و لكنها منقولة عن أُناس عاشوها و وجدوا فيها شيئاً إنسانياً يجب أن يتذوقه الجميع، لعل شيئاً ما يتغير في حياتنا، فمن يريد رواية تجربته علي كل ما عليه هو إرسال عنوانه لي علي البريد الإلكتروني ثم يأتي دوري فأذهب

و أُسجل الحديث من خلال جهاز التسجيل و أُدونه و لا أذكر اسم صاحب الرواية إلا إذا أراد هو ذلك، و أبطال رواياتي هم أشخاص واجهوا في الحياة الكثير . . تعلمت منهم الكثير في حياتي و استفدت من تجاربهم، تعلمت معني كلمة -حب- تلك الكلمة التي لها وقع خاص في نفس كل من تقع عليه، فهناك من يتذكر حبيبته و يتذكر شوقه إليها و آخر يتذكر تجربة مرت و لكن أحداثها و بقاياها ما زالت في نفسه، و آخر يتمني أن يعيش واحدة من تلك القصص التي سمع عنها وقرأها في الكتب و الروايات و شاهدها في الأفلام . . حتي الأفلام الرومانسية التي يجلس أمامها المشاهد لا يملك سوي الإستمتاع . . تلك الأفلام التي تأتي بالنهاية السعيدة التي تجعل المشاهدون يتوقفون عن سلسلة متصلة من البكاء.

فهناك من يعتقد أن الحب هو شيء مُنافي للقيم السامية، و آخرون يؤمنون بأهمية الحب في حياتنا و لكنهم لا يفعلون أي شيء حيال ذلك، و لكن كل هؤلاء لا يعنيني أمرهم فأنا أسير في حياتي وفق معتقدات و مباديء بداخلي تجعلني أتعامل مع الناس بصدرٍ رحب و قلبٍ صافي، فالحب هو أجمل شيء في الحياة. . يجعلك تري الأشياء غير الأشياء فتُدرِكُها بصورةٍ مختلفةٍ قطعاً هي الأجمل، يكفي أنه هو الطريق إلي الجنة، فمن يُحب ربه حقاً يشعر أنه بجانبه طوال الوقت . . يحرص ألا يغضبه

و يفعل كل شيء يقربه منه كي ينل رضاه.
فإنني الآن و قد بلغت من العمر قدراً لا يستهان به فإنني أعترف بأني قد مررت بتجربة من أروع ما يمكن و لم أجد لها مثيل في تلك الروايات قط و لكنها كعادة أشياء كثيرة في حياتنا لم تكتمل كما يجب أن تكون، و لكنني أري الخيُر دائماً فيما اختارهُ الله، و طالما كانت لي رؤيةٌ في العلاقات العاطفية أو العلاقات الإنسانية بشكل عام و هي أن الظروف يمكن أن تٌفرِق بين أي شخصين بمنتهي السهولة و يمكن أن تقربك من شخص و تبعدك عنه مخالفةً أسوأ سيناريو قد يضعه الإنسان للعلاقة، إنها لعبة أقدار ليس إلا.
فأنا لا أؤمن بقول هؤلاء الذين يدعون بتحدي الظروف علي الرغم من إيماني بأهمية التحدي في الحياه، لكن هناك مراحل معينة في حياة المرء إذا لم ينسحب بشرف سوف ينسحب رغماً عنه و صموده لن يبقي كثيراً.
لا أعلم إن كانت رؤيتي تلك صحيحةً ام خاطئة و لكن هذا ما علمتني إياه الحياه، فالإنسان عرضة لكل الصعاب و الأزمات التي قدّرها له الله في حياته، و هذه ليست ملك الإنسان و لكن الشيء الوحيد الذي يملكه الإنسان في هذه الظروف هو(القرار).
فالإنسان دائماً يملك اتخاذ القرار الصائب، ففي بعض العلاقات يكون القرار الصائب هو البعد و بالرغم من صعوبته إلا أنه سيٌشعِر الطرفين بالإرتياح فيما بعد، و إن كان بعض هذه القرارات

تجعل أصحابها يندمون عليها بعد نظرةٍ عميقةٍ علي الأحداث من بعد، فالصعوبات التي توجد في العلاقات تمثل مرآه لمستقبل هذه العلاقة و هذه أيضاً حظوظ و أقدار و ليست كل العلاقات هكذا، و لكن هذا جانب من كثيرٍ من علاقاتٍ قد مرت عليَّ.

فهناك قصص انتهت بنهاياتٍ سعيدة و لكنها ليست أكثر من قصص هذا الجانب المؤلم التي انتهت بالفراق، فإنني بعد أن تطرقت لكافة ألوان العلاقات و القصص الشيقة تلك فقد قررت أن الرواية القادمة ستكون هي الختام لمسيرتي، فكنت أبحث عنها جيداً و أنتقيها كي تكون هي مسك الختام، و في يوم ما بينما كنت أقوم بفحص البريد الإلكتروني وجدت تلك الرسالة وكانت كالآتي :

-الأستاذة (نور عبد الرحمن) تحية طيبة و بعد . .

أرسلتُ إليكي هذه الرسالة لأنني بحاجةٍ لكي أُطلعكي علي رواية تجسد تجربة أري شخصياً أنها لن تتكرر كثيراً.

فهذه التجربة قد حدثت لي منذ ما يقرب من عشر سنوات عندما تسببت الأقدار في لقاءنا، فنحن شعرنا بالحرية معاً . . واجهنا العديد من الصراعات و الأزمات معاً . . و كان أثرها علينا أنها زادتنا عشقاً، فأنا و هي خُلِقنا لبعضنا البعض، كانت رغبتنا في أن نظل معاً تزداد يوماً بعد يوم، فأنا لم أجد في حياتي شخصين متفاهمين هكذا، فهي كانت تمثل الهواء الذي أتنفسه و لا أستطيع وصف فرحتي عندما أراها و ألتقيها، كانت علاقتنا

نموذجاً ليست للعلاقات العاطفية فقط و إنما للعلاقات الإنسانية قاطبةً، و أكاد أن أَقسِم أنني لم أجد مثلها في حياتي فهي كانت و لا تزال حبيبتي. . -
أرجو أن تستجيبي لطلبي هذا و إليكِ عنواني:
القطامية – كومباوند ويلفر هيللز – فيلا ٣٢ .
و انتهت الرسالة بهذا الشكل و قد وجدت ما يجذبني لها بداخلها. أحسست بمشاعر حية تنبعث من كلماته و وصفه لحياته مع حبيبته، و كانت بداخلي رغبة قوية و فضول شديد في معرفة نهاية تلك القصة و التي استطاع أن يُخفيها عني لكي يجذبني أكثر لروايته فضلاً عن عباراته المريحة التي تنم عن إنسان شاعري و بدا وكأن ما مر به ترك في نفسه أثراً عظيماً، لم أُفكِر سوي في مقابلة هذا الشخص، و لكن الغريب في الأمر أنه لم يترك في رسالته رقم تليفون أو أي شيء كي أتواصل معه.
في صباح اليوم التالي كنت قد أعددت العدة و اعتزمت الرحيل، كانت الساعة قد قاربت علي الثالثة عصراً عندما اتجهت بسيارتي إلي العنوان المرفق و بالفعل وجدت مكان راقي لا يسكنه سوي الأثرياء . . فسألت نفسي كيف لأحدٍ من هؤلاء أن يترك كل شيء و يفكر في قصص الحب و نشرها، توقفت عن الفكير عندما سألني أحد أفراد الأمن عند مدخل الكومباوند علي هويتي و عندما أخبرته قال لي أن وجهتي هي فيلا -٣٢- و أن مالك الفيلا

بانتظاري، و ما إن وصلت لأجد سرايا عظيمة فخمة . . جمال المكان يُدهش كل من ينظر إليه . . فترجلت من السيارة و اتجهت أطرق الباب ليخرج رجل أنيق لم يترك لي فرصة لأعرفه بنفسي فقال لي بابتسامة:

- أستاذة نور . . مش كدة؟

أومأت رأسي بالإيجاب فأشار بيده إلي الداخل محتفظاً بابتسامته و أردف قائلاً:

- إتفضلي الأستاذ في انتظارك

قادني إلي غرفة المكتب التي استوقفتني بساطتها، فلم تكن بقدر فخامة المنزل، طرق نفس الرجل الباب ثم فتحه و قال لي:

- حضرتك تحبي تشربي ايه؟

- ممكن French coffee

هز رأسه مجيباً ثم رحل ليأتي بعدها بدقائق حاملاً فنجان القهوة و وضعه أمامي حيث كنت أجلس علي أحد الكرسيين المواجهين لبعضهما البعض أمام المكتب.

إنتهيت من فنجان القهوة و لم يأتي أحد، أخذت أنظر و أتأمل الأشياء من حولي و قد أوشك ملل الإنتظار علي تملكني ليأتي ذلك الشخص المقدر لي ليخبرني معتذراً بأن الأستاذ قد تلقي أمراً عاجلا لا يحتمل التأجيل، و قد طلب مني ترك رقم هاتفي و عنواني بحجة التواصل فيما بعد لتحديد موعد للقاءٍ آخر أو بالأحري

فنجان قهوة آخر.
الغريب في الأمر أن ذلك الشخص لم يأتي ليعتذر لي بنفسه . .
حينها كان يمكن أن يُقبل الإعتذار، و لكنني شعرت بأن هناك شيءٌ آخر أكبر من ذلك و لكن لم أفكر في الأمر كثيراً، فقط كان هناك شيئاً إيجابياً واحداً في كل ذلك و هو أن فنجان القهوة كان رائعاً و كافياً ليبقيني هادئة.
مرت أيامٍ عدة و كنت مستمرة في تفقد البريد الإلكتروني بشكل يومي و حاولت أن أنسي كل شيء و كأن شيئاً لم يكن، و في يومٍ من الأيام تحديداً في التاسعة صباحاً و بينما كنت أُحضر نفسي للذهاب لعملي في الجريدة سمعت صوت جرس الباب، و الجدير بالذكر أنني غير معتادة علي سماع هذا الصوت في هذا الوقت في أي يوم من الأيام، فذهبت و فتحت الباب و لكن لم أجد أحد . .
فقط وجدت مجلد ورقي ضخم أمام قدمي فأحضرته و جلست أُقلب فيه قليلاً . . إتضح لي أنها رواية و كانت بعنوان -الطريق إلي القمر-، لم يكن لدي وقتاً كافياً كي أتفحصها جيداً فأجلت ذلك إلي بعد عودتي من العمل.
عندما عدت كان أول شيء في ذهني هو تلك الرواية الغير معلوم مصدرها . . فأحضرتها و جلست و شرعت في القراءة. .

* * * * * *

إستهلال

يوماً ما كنت لا أصدق بالحب و بهذا الشعور إلا مع الأصدقاء و الآباء، و ما غير ذلك لم أكن أعترف به . . لم أكن أُدرك هذا الشعور السحري الغريب الكفيل بأن يجعل صاحبه يفعل أي شيء حتي يحافظ علي حبيبته . . هذا الشعور الذي يبدل مشهد الحياة الذي تراه أمامك كل يوم، و يضفي علي الإنسان قدراً من الإحساس بالحياه، و كان عدم تصديقي هذا مرتبط بعاملين أساسيين أولهما هو أنني أميل إلي الإنفراد بنفسي كثيراً . . لست من هواة تكوين العلاقات الإجتماعية المتعددة، لا أعلم إن كان هذا شيئاً مميزاً أو معيباً، علاقتي بأصدقائي القليلون كانت سطحية نوعاً ما . . لا أدع أحداً يغوص في تفاصيل حياتي التي دائماً أريد أن أحتفظ بها لنفسي، و من المؤكد أن لوفاة أمي و أبي و أنا في السادسة من عمري و استكمال بقية حياتي مع خالي أثر في ذلك.

أما ثاني العاملين هو أنني أحلم بالسفر، ذلك الحلم الذي دفعني إلي عدم الإرتباط بأي شيءٍ حتي أستطيع التحرك بحرية عندما يتسني لي ذلك، و ربما كان وجود خالي بجانبي و عدم رغبتي

في تركه وحيداً هو ما جعلني أتمهل دائماً في قرار السفر. فأنا إنسان باحث عن السعادة، أجدها في التنقل من مكانٍ إلي آخر و الجلوس و السير في الطرقات وحيداً، نعم أحظي بنفسٍ غريبة و مختلفة عن بعض البشر . . وصفني البعض بالإنطوائي و لكن لا أبالي بذلك لأني بذلك سأصبح انطوائي سعيد و ليس لدي أي مشكلة في ذلك.

ذلك لأن معظم أبناء جيلي بمجرد تخرجهم و حصولهم علي الشهادة الجامعية و الوظيفة المرموقة تلك تتوحد جهودهم في إتجاه البحث عن الشقة و من ثم العروسة كي يكتمل نصف دينهم, فمجتمعنا الشرقي يفرض علي الشاب قيوداً كثيرة يجب أن يلتزم بها لكي يصير -محترماً-، و من ثم فإن ناتج كل هذا هو نسبة لا بأس بها من المطلقات و القضايا الأسرية.

بالطبع الإستقرار و تكوين الأسرة هو شيء إيجابي و لا شك في ذلك، و لكن التسرع في الشيء الإيجابي و عدم التروي في إنجازه يفسده و يحوله إلي شيء سلبي، فالإنسان يجب ألا يكون عُرضة لروتين معقد فُرِض عليه من قديم الأزل.

هذين العاملين هما ما وضعوا حاجزاً بيني و بين الغوص في العلاقات العاطفية و خوض تجربة لا أنساها طوال عمري، فأنا أملك قلباً جامداً يشعر بما يمليه عليه عقلي المشغول بحلمٍ بعيد يسعي جاهداً ليناله، و لكن خالي كان دائماً يقول لي أن الإنسان

لا يموت دون أن يمر بالحب في حياته، فالحياة تشبه الهواء الذي نتنفسه أما الحب فيشبه ذلك الفيروس الذي يتخلل الهواء فيصيب الإنسان من حيث لا يدري و يبدل حالته المزاجية و لكنه كعادة كل شيء لا يدوم . . لذلك فلتسمحي لي بأن أتحدث بضمير الغائب حتي أحمل عنكِ مجهود إعادة الصياغة.

* * * * * *

يناير ٢٠٠٢
منتصف الليل . .

كان واقفاً أمام أحد الأسوار المُطلة علي النيل، كان تحديداً كوبري قصر النيل حاملاً آلة الصبر و كان ينظر إلي المياه بتركيزٍ شديد و كأنه يري من خلالها شيءٍ ما، نعم كان يري . . كان يري فيها متعة كبيرة لا يشعر بها إلا عند الوقوف كذلك، و يري حبيبته التي تمثلت في أمواجٍ تتمايل يميناً و يساراً مصدرة صوت الهدوء. فعشق الصيد موهبةٌ لا يمنحها الله إلا لذوي القلوب النقية تماماً كالمياه، كانت لحظات سعيدة يتلذذ بها قبل أن يعود إلي المنزل الذي يقطنه مع خاله و ينام ليستيقظ مبكراً للذهاب لعمله، كانت تلك الساعات التي يُقضيها في العمل هي أسوأ ما يلقي في يومه، فكان سيئاً بالنسبة له أن يعمل في مكتب محاماه يتقاضي منه ما يقرب من ستُمائة جنيه شهريًا، ذلك هو مقابل عمله في

مكتب (ضياء عرفة) ذلك المكتب الذي يحلم بالعمل به الكثير من الشباب الحالمين و المتطلعين لما هو أفضل، كان عمر مثلهم يحلم كذلك حتي صُدِم عندما تعرف علي راتبه لتُكتَب بذلك نهاية بائسة لحُلمٍ قد تحقق بصورةٍ زائفة.

الروتين هو الهرمون الذي يقتُل ببطء عقول ذوي الطموح و الأفكار، في اليوم الأول في الوظيفة يذهب المرء حاملاً كل أحلامه العريضة علي أعناقه . . مفعماً بالنشاط و الأمل . . مُخيلاً إليه أنه سيصنع الفارق . . فيجد نفسه كالأخرون . . يفعل كما يفعلون، يأتي اليوم الثاني عكس ما تمني ولا يأتي بأي جديد . . و تتوالي الأيام و يتوالي معها فقد ما تبقي من أحلام؛ ليُدرك حينها أنه كان مخطئاً عندما ظن أن ملتقي حملة الشهادات قد بات مكاناً لتحقيق الذات.

عمر كان لديه علاقة وطيدة مع الروتين في حياته، يتكرر يومياً الآتي . . يذهب لعمله في الصباح . . يعود إلي المنزل في الرابعة عصراً كي يتناول الغداء برفقة خاله . . ثم يذهب ليلاً إلي الصيد حيث المتعة التي تمكنه من المواصلة بصدرٍ رحب.

حياته تشبه حياة البائسون الذين لا آمال لهم في الحياه و لا يرمون إلي شيء، و لكنه مل المحاولات المتكررة لتحسين أوضاعه و التي لا تنتهي إلا بالفشل.

* * * * * *

-هو احنا مش اتفقنا إننا مش هنتكلم في الموضوع دة تاني-.

قالتها (ليلي) لوالدتها التي تُلح عليها للموافقة علي الزواج من (طارق) إبن أختها.

ليلي طالبة في السنة الأخيرة من كلية الإعلام، تتمتع بقدرٍ من الجمال يُبهر من يراها، و ربما أصبح جمالها هذا من أهم مصادر مشاكلها في حياتها، فمن ناحية هي تعاني من كثرة الشباب المترددين علي بيتها لخطبتها، و من ناحيةٍ أخري تتلقي ضغوطاً من جانب أهلها للموافقة علي الزواج، و لكنها كانت تُفضل دائماً التريث و عدم التسرع في هذا الأمر و التروي حتي تتخرج و تبحث عن عمل جيد و تحقق لذاتها أي شيء خاصةً و أنها شخصية عنيدة لا تقتنع إلا بعد جدال، الأمر الذي أصبح سبب في مشاكل كثيرة مع زوج والدتها (شريف رضوان).

شريف رضوان هو أحد كبار رجال الأعمال في المجتمع . . شخصية أنيقة جداً . . نوعاً ما سريع الإنفعال . . وضعه المادي و الإجتماعي بحالة متزنة و ذلك ما دفع والدة ليلي للزواج به بعد وفاة زوجها عندما كانت ليلي في السابعة من عمرها بهدف الحصول علي المال اللازم لتيسير حياتها ليس إلا.

* * * * * *

إستيقظ عمر في الرابعة صباحاً علي صوت آذان الفجر . . فقام و توضأ و صلي، عاد إلي الفراش محاولاً النوم من جديد و لكنه

لم يستطع، فقام و أعد كوباً من الشاي و جلس في الشرفة يتأمل شروق الشمس . . نظر إلي تأهب السماء لظهور الشمس و هي تعلن عن بداية يومٍ جديد و قد تذكر أيام طفولته عندما كانت توقظه والدته من نومه وهي مبتسمة كي يذهب إلي المدرسة برفقتها هي و أبيه . . فكان يسير بينهما في الطريق ممسكاً بيد أبيه من جهة و يد أمه من الجهة الأخري ليتجلي في نفسه الإحساس بالإطمئنان، و لكنه لم يكن يعلم أن تلك السعادة لن تدم طويلاً فأصبح يستيقظ وحيداً لا يري حوله سوي ظلمة غرفته الكئيبة، نظر إلي قرص الشمس و هو يزداد بريقاً و لمعاناً سائلاً الله أن يكون يومه جيد و يحمل له شيء ما سعيداً.

كانت الساعة قد قاربت علي السابعة و تبقي علي عمله الذي يبدأ في تمام التاسعة ساعتان، فقرر أن يذهب مستنشقاً هواء الكورنيش صباحاً كما اعتاد أن يفعل . . فارتدي البدلة التي يكره تفاصيلها بشدة و رحل. .

* * * * * *

ظلت مستيقظة في فراشها و لم تنم بعد أن إنتهت إحدي حواراتها العنيفة مع والدتها و زوجها بأن صفعها هو علي وجهها لتنهار المسكينة في بكاء هستيري، كانت بحاجة شديدة للخروج من المنزل و لو لدقائق . . نهضت من فراشها . . إرتدت ما وجدته امامها من ملابس . . خرجت متخفية حتي وصلت إلي الباب

و رحلت . . لم تقصد مكاناً بعينه فسارت في الشوارع هائمة علي وجهها لا تعلم إلي أين هي ذاهبة فقط أطلقت العنان لأرجلها كي تذهب حيثما تشاء حتي انتهي بها المطاف إلي جسرٍ مُطل علي النيل و كانت فرصة جيدة لتتوقف تلتقط أنفاسها و هي تتأمل جمال المياه التي تسري في الأرجاء .

خرج من المنزل متأنقاً مرتدياً بدلته التي لا تنم عن شخص يتقاضي هذا الراتب الزهيد علي الإطلاق، و لكنه لم يسعي جاهداً لأن يرفع شأنه و ينافس زملاؤه في العمل، فهو و إن كُلِف بشيء فلا يُكلَف إلا بالقضايا البسيطة التي لا تحتاج إلي محامي محترف و هو في أغلب الأحيان يُكتفي به في مساعدة أحد الزملاء في مراجعة أحد ملفات القضايا، تلك هي نتيجة شغله لوظيفة لا يريدها حتي و إنه أحياناً يسأل نفسه متعجباً لماذا يبقيه ضياء عرفة في العمل و هو بحالته تلك و لم يقصيه منذ زمن !

وصل إلي ضالته ووقف مستمتعاً بالنيل العذب عندما تسقط عليه أشعة الشمس البراقة فتضفي علي سطح مياهه لمعاناً لتجعل الأمواج تبدو و كأنها قطع من لؤلؤٍ متراصة فتُدخِل علي قلبه السعادة و لكنها سعادة مؤقتة أو زائفة.

فكيف يحيي الإنسان سعيداً و هو لا يتطلع إلي الأفضل، حاله كحال غيره من البؤساء يقتنصون سعادتهم من أي شيء حولهم سواء كان ابتسامة من شخصٍ قريبٍ إلي القلب . . مقطوعة

موسيقية شاعرية . . أو حتي فيلم كئيب انتهي بنهاية تقليدية سعيدة، و كل هذه الأشكال تجسد شكل مؤقت من أشكال السعادة التي يبحث عنها هو ببسالة.

قطع أفكاره صوت بكاء بجانبه . . تنبه لما حوله فوجد فتاه بلغت من الجمال قدراً عظيماً و كأنها استحوذت علي النصف الآخر منه، تملك عينان رماديتان تربكان من تنظرا إليه و تجعلانه لا يملكُ شيئاً إلا التمني أن يظل يراهما طيلة حياته، كانت تحاول ألا تصدر ضجيجاً يلفت أنظار من حولها إليها، و لكن خانتها دمعةٌ مترقرقةٌ نزلت من عينيها علي خدها الوردي و إذ بها تمسحها بيدها فلاحظت إنتباه عمر إليها ليبدو علي وجهها الإحراج، أدار عمر وجهه ناحية النيل مرة أخري و لكنه لم يستطع أن يتجاهلها فأدار وجهه إليها مرة اخري و بنبرةٍ حانية قال لها:

- محتاجة مساعدة ؟

أطلقت تنهيدةً ساحرة و هي تقول :

- لأ . . شكراً

- صدقيني لو محتاجة اي حاجة قوليلي.

لتنفجر هي قائلة :

قلتلك شكراً هو بالعافية !!

في تلك اللحظة كان عمر بحاجة لشخصٍ يتحمل معه قدراً من الإحراج الذي ألـم به جراء تلك الكلمات المؤلمة، بينما عبرت هي

إلي الجهة الأخري من الطريق تاركة شخص قد قرر ألا يخرج مبكراً قبل الذهاب لعمله مرةً أخري

* * * * * *

عادت ليلي إلي منزلها و لم تتغير حالتها كثيراً، فهي تحتاج إلي من ينصت لها و تروي له عن مشاكلها و يساعدها في إيجاد حلول لأن حالتها النفسية أصبحت متوترة جداً نتيجةً لكثرة المشاكل التي أرهقتها نفسياً و جسدياً لدرجة كانت كافية لجعلها تستغرق في النوم بعد قضاء ليلة شاقة أو بالأحري يوماً شاقاً.

منذ أن توفي والدها و هي لم تعلم إلي أين تسير حياتها و ازداد الأمر سوءاً حينما أتت لها والدتها بزوج أم حتي يتكفل بالمصاريف اللازمة، و علي الرغم من أنه رجل أعمال ثري يمتلك الكثير مما يجعل الحياة أكثر رفاهيةً فإنها لم تشعر بالراحة يوماً واحداً طيلة حياتها معه، فهو إنسان غاضب دائماً . . مشغول طوال الوقت بالشركات و المشروعات و ما يسمي ب - البيزنس- و أمها التي لا حيلة لها لا تملك أي قرار من شأنه التغيير من مجريات الأمور، و مع كل ما تراه أمامها من تدهور في نفسية ليلي فهي لم تستطع يوماً أن تُصلح من شكل الحياة ولا الحديث مع زوجها في ذلك، فهي أيضاً منشغلة بعض الشيء ببعض صديقاتها من السيدات اللاتي يسكنن أحياء القاهرة الراقية فضلاً عن ندوات و جلسات النادي و حياة ما بعد الأربعين المملة.

مر اليوم رتيباً علي عمر كعادة أيامه في مكتب المحاماه الذي يمقته بشدة و الذي تمر ساعات العمل به كالسنوات . . خرج من المكتب و قد تجاوزت الساعة الثالثة عصراً دون أن يأتي في يومه أي جديد سوي الموقف الذي تعرض له صباحاً و الذي قضي علي مِزاجه الذي كان صافياً.

عاد إلي المنزل و قد وجد خاله الذي عاد من عمله مبكراً هو الآخر يجلس في إنتظاره فصافحه و هو يقول مداعباً :

- إيه يا خالو انت اترفدت و لا إيه !

ضحك و هو يقول له :

- يبني أنا المدير يعني انا اللي برفد بس أنا لسة راجع مش بقالي كتير.

قام خاله ليُحضِر الغداء فتبعه عمر بعد أن بدل ملابسه و جلسا سوياً، فحادثه خاله قائلاً :

- شفت إيه اللي حصل النهاردة؟
- إيه ؟ . . قالها عمر بلا مبالاه، فأردف خاله قائلاً :
- تعرف رجل اعمال اسمه (شريف رضوان).
- لأ . . ماله ؟
- متهم في قضية غسيل أموال هو و كام واحد كدة.

فأضاف عمر :

يالا خلي البلد تنضف من امثالهم.

إبتسم له خاله و دخل غرفته كي ينل قسطاً من النوم.
كان عمر يجد في تلك الإبتسامات المريحة الكثير من التعجب، فالدكتور(عبد العزيز منصور) الذي يعمل مديراً لإحدي المصحات النفسية يشبه كثيراً عمر في شخصيته وطباعه، فهو لم يفكر قط في الزواج، و ربما كان حادث وفاة والدي عمر هو الشيء الذي قضي علي هذه الفكرة تماماً و أخرجها من رأسه بالرغم من أنه كان بإمكانه أن يُكون أسرة يكون عمر أحد أفرادها، و لكنه قرر وقتها أن يُكرس حياته من أجل عمر و يمنحه ما يجعله أحسن من غيره و قد ساعده في ذلك نجاحه في حياته العملية، و ذلك هو محل الإختلاف بين عمر و خاله، فإجتهاده في عمله هو الذي دفعه إلي الترقية و التدرج بين المناصب حتي وصل إلي هذه المكانة الرفيعة التي وصل إليها.
فهو من العُزاب القلائل الذين استطاعوا أن يواصلوا حياتهم بنجاح بدون زواج، و من الممكن القول أن وجود عمر طفلاً في حياته و تحت مسئوليته هو الذي دفعه ليكون ناجحاً بالإجبار.
ذلك لأن محور نجاح الإنسان في حياته ليس الزواج أو عدمه و إنما وجود شيءٌ ما يسعي للوصول إليه سواء كان وضع وظيفي . درجة علمية . . منزل كبير أو حتي سيارة فخمة . . الأهم هو وجود هدف في حياة الإنسان يعيش من اجله و من لا يملك ما يسعي إليه فإن مصيره هو الفشل لا محالة.

و لكن عمر كان يخالجه شعور بالخجل في بعض الأوقات نتيجة أنه يريد أن يخفف من الأحمال التي يحملها خاله علي عاتقه منذ اعوام، و لكن كيف لذلك أن يحدث و المنزل لايزال قائماً براتب خاله.

فراتب عمر الهزيل لن يستطيع أن يغطي كل شيء بل لن يغطي أي شيء، و لكنه كان يريد لخاله أن يشعر بأنه قد أنشأ رجلاً قادراً علي مواجهة التحديات في حياته و تكوين أسرة . . الأمر الذي لم يستطعه خاله من اجله.

لم يصمد كثيراً أمام أفكاره التي تأتيه متتابعة واحدة تلو الأُخري فاستسلم للنوم الذي جاءه هو الآخر ليُريحه من كل شيء.

قضت ليلي يومها دون أي جديد تقريباً، لم تتناول شيء منذ الصباح رغم محاولات والدتها المتكررة، فهي اكتفت بمشاهدة التليفزيون في محاولة للخروج من أجواء الأسي المسيطرة عليها بإحكام، و في أثناء إنشغالها بالشاشة المضيئة أمامها جال بخاطرها مرة أخري تصرفها صباحاً . . نعم تشعر بتأنيب الضمير لإرتكابها خطأً ما و هي من الأشخاص الحريصون دائماً علي ألا تكون في موضع المُخطئين ولا الملومين، تذكرت تلك المقولة التي تقول أن الضمير لا يمنعك من ارتكاب الخطأ، و لكن يُقلل من إستمتاعك به.

أدركت حينها أنه لا فائدة من التفكير في شيءٍ مضي لا تملك حياله

أي شيء . . فهي لا تملك إلا الوقوف امام النافذة تستمع لصوت فيروز الذي يصدح من مكانٍ ما :
صباح و مسا شي ما بينتسي . . تركت الحب و أخدت الأسي.

* * * * * *

كان عمر في طريقه لبدء مهمة الصيد التي يعشقها و إن طالت، كان يسأل نفسه كثيراً عن تلك الفتاه و عن ما حدث لها حتي تقف هكذا منهمرة في البكاء وحدها، و لكنه بالطبع لم يجد لسؤاله أي إجابة فقد اعتاد طيلة حياته علي تلك النوعية من الأسئلة التي ترتبط إجاباتها بما سيحدث مستقبلاً . . دائماً يؤرقه تخيل شكل مستقبله كيف سيكون و من سيقابل في حياته من أشخاص و مواقف و أحداث.
فالإنسان عادةً يرسم خطوط عريضة لمستقبله في ضوء انطباعاته عن الحياه و ما لقاه منها، و عمر شخص لم يري من الحياه إلا وجهها القبيح و هو ما يجعله يتنبأ بمستقبل عادي كأي شخص من البسطاء الذين يقابلهم كل ليله حين يذهب للصيد، فهم أشخاص واجهوا الكثير من الصعاب في حياتهم و لكنهم لم يتوقفوا عن فعل ما يحبونه و هذا الشيء هو نفسه الذي يجعلهم قادرين علي المواصلة أحياء علي حافة الإنهيار في واقع فرض عليهم المعاناه، فالصياد يجلس معظم الوقت أمام المياه ليس فقط انتظاراً لصيده و إنما في كثيرٍ من الأوقات هو يحادث

المياه حديث روحي بحت لا يعي دهاليزه سواهما.
وصل إلي مقصده بعد ما قطع مشواره سيراً كما يعتاد، ألقي السلام علي الجميع و صافح صديقه المقرب (إيهاب) . . وقف بجواره يحدثه في أمور الحياة الرتيبة بينما رمي البقية حبالهم و كأن المياه قد جعلها الله مصدراً للسرور فتمد المرء بما يحتاجه من الصبر . . المثابرة . . الجلد . . التحمل . . التفاؤل . . التفاني. الإجتهاد . . الأمل و هذا ما جاء بهم إلي هناك كي يحصلوا بحبالهم علي المزيد.
تمعن عمر في خيوط النور التي تنبعث من الفنادق و استحضر من جديد المشهد الذي كان بطله صباحاً مودعاً يوم لن ينساه طيلة حياته .

* * * * * *

- ألو
- مهندس (طارق أبو النجا) ؟
- أيوة
- مع حضرتك مديرة مكتب أستاذ ضياء عرفة، حضرتك كلمتني عشان تحدد ميعاد مع الأستاذ مش كدة ؟
- أيوة تمام.
- انا متصلة أبلغ حضرتك إن الميعاد هيكون بكرة الساعة عشرة
- تمام شكراً.

كعادته أغلق الهاتف سريعاً فهو لا يحب السلامات التقليدية في نهاية المكالمات، فهو شخص وقته ثمين لا يحظي به سوي من يستحقه . . إنسان عبقري ذو عقلية فذة و بالرغم من نجاحه في حياته العملية إلا أنه يُسيء استخدام عقله، فإسم طارق أبو النجا مألوف لدي الكثيرين . . يُعرف عنه الثراء و امتلاكه لمجموعة ضخمة من شركات البترول، و لكن ليلي إبنة خالته لم تُسعفه عبقريته لينالها، فكيف لرجل أعمال يمتلك مؤسسات ضخمة و أموال طائلة لا تقبل به طالبة بكلية الإعلام.

هل لأنها لديها علم بجميع كوارثه التي لا يعرفها عنه الغرباء و أنها تعيش بمبدأ لا يقبل بمثل هذا الرجل؟ أم أنها تري أنه لم يحِن وقت الإرتباط بعد؟ . . أسئلة كثيرة تدور في ذهنه و لا يعلم إجاباتها سوي ليلي وحدها.

* * * * * *

إستيقظ عمر من نومه و قد تأخر عن ميعاده بضعة دقائق، فنهض و ارتدي ملابسه و احتسي فنجان القهوة و ذهب إلي عمله مسرعاً متجنباً السير ناحية الكورنيش هذه المرة.

وصل إلي المكتب فوجد سيارة ميرسيدس فخمة تقف أمام المبني الذي يحوي المكتب، لم يألف وجود مثل هذه السيارات كثيراً و لكنه لم يبالي و صعد لعمله فوجد حالة اضطراب بين العاملين و حركة غير عادية في المكتب، البعض يتهامسون و البعض الآخر

يتساءلون، فذهب و سأل أحدهم فأخبره بأن طارق أبو النجا جالس مع الأستاذ ضياء الآن . . الأمر الذي لم يبرر لعمر تلك الحالة من العشوائية التي اجتاحت المكان برمته.

- أستاذ ضياء أنا عارف إنك بتسأل نفسك عن سبب الزيارة دي من ساعة ما طلبت أحدد ميعاد مع حضرتك لحد دلؤقتي، عشان كدة أنا هدخل في الموضوع علي طول و مش هطول عليك.

إنتبه ضياء عرفة و بدت علي وجهه ملامح التركيز و هو يقول :

- ياريت . . اتفضل

- طبعاً اكيد حضرتك سمعت عن قضية غسيل الأموال المتهم فيها رجال أعمال منهم شريف رضوان.

- أيوة انا قريت عنها في الجورنال . . بس إيه دخل حضرتك بقضية زي دي ؟

بإبتسامة صغيرة يُعرف بها الأذكياء قال طارق :

- أستاذ ضياء . . أنا و شريف بيه صحاب و شركاء من زمان أكيد حضرتك تعرف دة، و هو الفترة دي حالته النفسية مش و لا بد فطلب مني أقابل حضرتك بداله.

إستكمل و هو يمد يده في جيب سترة البدلة الداخلي ليخرج ورقة مطوية قائلاً :

- و دة توكيل رسمي من شريف بيه عليه توقيعه عشان حضرتك تدافع عنه.

إبتسم ضياء عرفة و هو يتطلع علي التوكيل و قال في دهاء:
- أنا تحت أمرك انت و شريف رضوان . .
قاطعه طارق قائلاً:
- مش هنختلف علي الأتعاب، المبلغ اللي هتطلبه هيكون في حسابك بكرة الصبح.
إبتسم ضياء عرفة و هز رأسه موافقاً . . صافحه طارق و هو يستعد للرحيل فوجدا التلفزيون داخل المكتب يتصدر شاشته الخبر الآتي :
- القبض علي رجل الأعمال شريف رضوان صباح اليوم -

* * * * * *

-قد يكون المرء صادقاً كل الصدق في تولهه بحبه، لا بحب المحبوب حقيقةً، بل بحب حلمه به . . بحب الوهم الذي قام في ذهنه عنه، ذلك لأن الحلم حلمه و الوهم وهمه-.

- دوستويفسكي

الفصل الثاني

كانت ليلي عائدة من الكلية في سابقة نادرة الحدوث في الفترة الأخيرة، و ما إن دخلت إلي المنزل فوجدت والدتها جالسة علي حد كراسي الصالون تحديداً الكرسي المواجه للتلفزيون، إستغربت الأمر لأن والدتها دائماً تكون بالخارج في هذا الوقت من اليوم . . وجدت أسفل عينيها بعضاً من ال eye liner المسال نتيجة البكاء، فسألتها عما في الأمر قائلة:

- ماما . . مالك بتعيطي ليه ؟

نظرت لها والدتها بشيء من الحزن المصطنع بإقتدار و هي تقول:

- شريف اتقبض عليه النهاردة الصبح و هو في المكتب.

لا إرادياً شعرت ليلي بشيء من الحرية . . تذوقت حينها القليل من معاني الخلاص . . كانت إبتسامة صادقة علي وشك أن تتملك منها و تنبسط علي وجهها و لكنها تحكمت في نفسها و اصطنعت القليل من التأثر و بعض الأسئلة التي تظهر اهتمامها بالأمور . . دخلت غرفتها سريعاً . . وقفت أمام المرآه . . تركت ملامحها لتسري بها بوادر السعادة.

خرج طارق أبو النجا من مكتب الأستاذ ضياء و كان وجهه جامداً لا تستطيع أن تستنبط منه ملامح حزن أو سعادة . . لم ينظر لأحد فقط رحل تاركاً معه رائحة عطر لم يعهدها المكتب من قبل، خرج وراءه ضياء عرفة و راقبه حتي رحل ثم استدعي السكرتيرة التي لم تبقي في مكتبه سوي لحظات حتي خرجت و أخبرت الجميع بأن الأستاذ ضياء يدعوهم إلي اجتماع عاجل في مكتبه .

وقت انعقاد الإجتماع كان غريباً، فالطبيعي أن الأستاذ كان يجتمع بهم في المناسبات للتهنئة و توزيع المكافآت، و لكن اليوم لم يكن مناسباً لأيٍ من هذا، لذلك أُصيب الجميع بشيءٍ من الدهشة الممزوجة بالقلق فبدت علي وجوههم البراءة و السذاجة و هم ذاهبون إلي المكتب تماماً كالسائرون نياماً.

* * * * * *

كانت ليلي نائمة عندما سمعت والدتها طرقاً علي الباب . . فتحت فوجدت طارق خلف الباب و قبل أن تلقي عليه رثائها بادرها هو بملامح باردة تظهر إطمئنان مبالغ فيه قائلاً:

- متقلقيش يا خالتي . . أنا جهزت كل حاجة و عملت توكيل لمحامي كبير هيخلص الموضوع.

كان يحب دائماً أن يظهر بشخصية المتحكم في كل شيء . . ذلك الرجل النبيل الذي يُهديء من روع الثائرون باعثاً في نفوسهم

الطمأنينة، يظن أن ذلك سيجدي نفعاً معها و لكن هيهات، فهي تعلم بوجوده منذ أن طرق الباب و لكنها التزمت غرفتها كعادتها دائماً عندما يأتي طارق، بكل تأكيد هي تتفق مع والدتها في أنه يستطيع بناء حياة ذات رفاهية مكتملة الأركان، و لكنها كانت تراه انتهازي يسير في الحياه بلا مبدأ . . يمكنه أن يفعل اي شيء حتي يصل لما يرنو إليه، فهو من أنصار النظرية الرجعية التي تعتبر أن جمع الأموال يعطي كل شيء و هو في الحقيقة يعطي كل شيء و لكنها لم يكن يعنيها منه شيء، فطارق شخص غني مادياً و لكنه فقير نفسياً و أخلاقياً و ذلك الذي يُعنيها في كل شيء.

سمعت صوته في الخارج يسأل عنها قائلاً:

- هي ليلي فين ؟

أدركت سؤاله فتعمقت في نومها اكثر و لكن صوت والدتها الذي يستدعيها أفسد كل شيء فخرجت، و ما إن يراها هو فتتبدل ملامحه و تتسع تلك الإبتسامة التي تمقتها كثيراً . . صافحته و جلست بضع دقائق و من ثم دخلت غرفتها مجدداً.

بررت والدتها الموقف لطارق بأنها متأثرة مما حدث فنهض معلناً رحيله و قد أدرك أن محاولته هذه المرة قد باءت بالفشل.

مشكلة طارق في أنه يتعامل مع ليلي كأي شيءٍ في حياته يستطيع الحصول عليه بكل سهولة و بالتالي كان يزعجه عدم خضوعها

له، فهو لم يكن يدرك إدراكها لطريقة تعامله معها و محاولاته الصبيانية الساذجة لإستدراج قلبها، فالحب ليس تنافس و لا يؤخذ بمحمل التنافس إطلاقاً، و إنما هو توافق بين الأشخاص يبرز في حياتهم كل المعاني الجميلة، و إدراك ليلي لإلحاح طارق هو الذي نفرها منه قبل أي شيء.

جلس الجميع في حالة من التأهب الشديد و كان الصمت سائداً قبل أن ينهض ضياء عرفة من جِلسته و بدأ في التحدث قائلاً:

- النهاردة يوم مهم أوي في حياة كل واحد فيكوا، المكتب النهاردة اتوكل بقضية كبيرة تعتبر قضية رأي عام، أكيد كلكوا سمعتوا عنها. . إحنا هندافع عن رجل أعمال اسمه -شريف رضوان-.

إزداد الجميع تشويقاً منتظرين الكلمات الآتية التي حتماً ستحمل شيئاً مهماً، أما عمر كعادته لم يبالي بشيءٍ علي الإطلاق و كأنه في مكانٍ غير المكان و لكنه بدون إرادة انتبه لكلمات الأستاذ ضياء و هو يستكمل قائلاً:

- بس نظراً لأن القضية دي مهمة و محتاجة قدر من السرية في تفاصيلها فأنا قررت إن واحد بس هو اللي هيشتغل معايا فيها، آخر اليوم هيتوزع علي كل واحد فيكوا ملف القضية و بعد خمس ايام بالظبط هنناقش الملف مع بعض و أحسن واحد هيضع تصور للقضية دي هو اللي هيشتغل عليها معايا.

إجتاح الذهول جميع الوجوه، فالمتبع أن جميع القضايا يعمل

عليها جميع العاملين أو جزء كبير منهم و ليس فرداً واحداً، حتي أن عمر استغرب الأمر أيضاً . . من المؤكد أن هناك سبب لهذا القرار لا يعلمه سوي ضياء عرفة نفسه.
بالرغم من أن هناك شيئاً يدفع عمر لخوض التجربة و منافسة زملائه إلا أنه كالعادة لم يكترث، و لكنه حين تسلم الملف و كانت هي أول مرة له أن يمسك بملف قضية كبيرة في يده شعر بشغف و أعاد التفكير مجدداً، عندما عاد للمنزل أخبر خاله بالأمر فلم يبد من الإهتمام إلا القليل . . هل لعلمه بأن عمر لن يفعل شيئاً في ذلك الأمر؟ أم أنه تصرف بطريقة طبيعية أدركها عمر بشكلٍ خاطيء؟
بعد الغداء . . وضع عمر جسده علي الفراش عازماً علي حسم أمر هذه القضية عندما يستيقظ من نومه.

* * * * * *

صافح طارق صديقه شريف عندما ذهب لزيارته بعد أن تم حبسه علي ذمة القضية، فحادثه شريف رضوان متسائلاً:
- ها عملت ايه؟
ليرد طارق في ثقة و قد أتت لحظات بعث الطمأنينة التي ينتظرها قائلاً:
- عملت توكيل لضياء عرفة زي ما اتفقنا.
- طيب تمام.

حديثهما ما هو إلا تبادل مصالح و سعي وراء مستقبل مضيء ليس إلا، فطارق لا يهمه في خروج شريف رضوان سوي سير الأمور بينهما كسابق عهدها حتي يظل اقتصاد طارق راسخاً، أما شريف لا يفكر إلا في خروجه الذي لن يساعده فيه سوي طارق و بالتالي يجب أن يعامله بطريقة حسنة و يحاول أن يحقق له مراده و يزوجه من ليلي، علاقة تبدو مثالية ظاهرياً و لكنها في الواقع علاقة في منتهي القذارة بين شخصين فاسدين لا يستحقوا إلا السجن كي يتخلص المجتمع منهم، فالمجتمع بحاجة لأشخاص كأمثال الدكتور عبد العزيز الذين يبعثون الخير و الوفاء بدون مقابل . . هؤلاء هم عظماء و المجد سيجد طريقه لهم لا محالة.

* * * * * *

إستيقظ عمر من نومه علي صوت نغمات موسيقية للمؤلف . . Frederic Chopin اكتسب عمر خلفية موسيقية لا بأس بها من خلال المقطوعات التي يداوم خاله علي سماعها عندما يريد الإسترخاء و التفكير في شيءٍ ما، و لكنه لم يلبث إلي أن جال بخاطره الأمر الذي استيقظ من أجله في الأساس . . بعد تفكير عميق مستغلاً صوت الموسيقي المنبعثة من الخارج فقد وجد أنه لا يوجد سبب مقنع لعدم تصفح الملف و التحلي ببعضاً من الأمل في مواجهة الأمر، فهي فرصة جيدة لإظهار العرفان بالجميل تجاه شخص يستحق منه ذلك بل و الأكثر من ذلك، فاعتبر ذلك

خُطوة اولي لتعويض خاله عن ما مضي.
أعد كوباً من النسكافيه و جلس أمام الملف . . قضي حوالي نصف ساعة بين الصفحات . . شعر بالملل و الفتور و لكن فجأة هاجمته أفكاره اللعينة و وجد نفسه تحدثه بأسئلة مباغتة. .
من أنت؟
ماذا فعلت في حياتك و انت قد قاربت علي الثلاثين من عمرك؟
هل صنعت شيئاً يُذكر الناس بك بعد موتك؟
كيف لم تتحمل المسئولية و تخفف عن خالك قدراً من همومه؟
إلي متي ستظل هكذا شارداً في ترهات سائراً في الحياة بلا هدف؟
نزلت عليه كالصاعقة ولم يجد لأيٍ منها أي جواب.
لم يجد أمامه سوي خوض المنافسة و استغلال الفرصة التي جاءته علي طبقٍ من ذهب فرضها عليه الواقع كي يخرجه مما هو فيه.
إستأنف القراءة من جديد و قد اتخذ قراره النهائي في هذا الشأن, إنتهي يومه الأول و قد أتم قراءة الملف جيداً و عرف أن أسرة المتهم تتكون فقط من زوجته و ابنتها فأدرك كمحامي احتياجه للحديث معهما مستقبلاً.

* * * * * *

السادسة صباحاً . .

كان الجو بارداً بعض الشيء في تلك الفترة الفاصلة بين الخريف و الشتاء، بصفتها عاشقة للسهر كانت واقفة في الشرفة متأملة حياتها في الفترة الأخيرة . . أصبحت حياةً فاترة، فهي لا تذهب إلي الكلية لأنها تعرف الأسئلة التي ستكون بإنتظارها . . فقدت قدراً لا بأس به من القدرة علي الإحساس . . شعرت و كأنها قد تحولت إلي شخصيةٍ أخري غريبةً عنها . . لم تستطع أن تنافق نفسها و تظهر الحزن علي شخص لم يسبب لها إلا الحزن، و بالرغم من أن والدتها تبدو متأثرة جداً مما حدث إلا أن ليلي كانت علي يقينٍ تام بأن علاقة والدتها بشريف رضوان تقوم علي المصلحة المشتركة في المقام الأول، فهو يضخ لها الأموال في حقيبتها و هي تجلس مع زوجات كبار رجال الأعمال و تعرف كيف يفكرون و ما هي خططهم المستقبلية ثم تنقل له المعلومات التي تهمه، كذلك بعض الحفلات الإجتماعية التي تُقيمها علي شرف أي إنجازٍ تم تحقيقه للإحتفال من ناحية و لتعزيز علاقاتهم التي تُثقل مكانتهم الإجتماعية من ناحيةٍ أخري ، حياتهم تسير هكذا تاركين خلفهم مسكينة تعيش معهم حاضرةً غائبة لا تحدثهم إلا قليلاً و في أغلب الأحيان يتركز حديثهم حول رفضها الزواج من طارق ثم ينتهي بنوبة بكاء . . دائماً سعادتها مؤقتة لتظل حزينة بائسة فاقدة معني الحياة.

في اليوم الثاني دخل عمر المكتب ليجد الجميع في حالة إنهماكٍ تام في العمل . . لم يسمع سوي صوت همهمة بين البعض و البعض الآخر يدخلون برأسهم داخل الملف دون أن يدروا بما حولهم . . شعر بأن هناك من يبذل جهوداً اكثر منه . . فقد الثقة بنفسه قليلاً و نقص أمله رويداً رويداً . . لم يحتمل منظر طلبة الثانوية العامة هذا فحمل حقيبته و رحل إلي المنزل.
و هو في طريقه اكتشف أنه لم يذهب للصيد منذ أيامٍ عدة . . فكيف استطاع حبه لخاله و وفائه له أن يهونا عليه مشقة عمل لا يريده ؟
حقاً يمكننا التخلي عن ما نحب من أجل من نحب، دخل المنزل و كان خاله لم يعد من المصحة بعد فأعد فنجان القهوة و جلس مستعيداً أمله من جديد . .

* * * * * *

تصاعد الدخان من سيجاره الفرنسي و هو جالس في شرفته المطلة علي النيل و كان يفكر في موقفه مما حدث، فطارق يعلم جيداً أنه بني نجاحه علي أنقاض نجاح الآخرين، دائماً حريص علي استغلال البارعون في مجالاتهم ليصنعوا له ما يريد مقابل نفقات باهظة ممتدة من سيل أموال لا ينتهي أبداً، يعمل لديه كفاءات و مهارات عظيمة كان بإمكانها أن تحقق شيئاً له قيمة بدلاً من تحقيق أحلامه، ربما كان من الممكن أن يحقق ما أراد تحقيقه

و لكن بإستخدام عقله، بالتأكيد كان كل شيء سيتطلب وقتاً لتحقيقه و لكن حياته لم تكن لتصبح متوقفة علي شخصٍ آخر لا يعلم إن كان سيعود اليوم أو غداً أو بعد سنين . . أخطاء ماضيه تؤتي ثمارها الآن مما يجعله ينتظر مستقبلاً مُغلف بالظلام.

* * * * * *

كانت الليلة هي الأخيرة في المهلة التي أعطاها ضياء عرفة للجميع، لم يشعر عمر بأي شيء إلا مع آذان الفجر بعد أن غاص في أعماق المراجع و كون تصوراً لا بأس به، صلي الفجر ثم ارتـمي بجسده علي الفراش محاولاً نيل ساعات قليلة من النوم و لكن فجأة و بدون مقدمات وجد ذلك الوجه النضر يرتسم أمام عينيه مرةً أخري و تذكر الموقف بتفاصيله مرةً أخري، فعدم النسيان من أصعب الأشياء التي قد يبتلي بها الإنسان، تعمد أن يغفل عن كل هذا متخذاً التفكير في مقابلة ضياء عرفة سبيلاً للنوم.

* * * * * *

صباح اليوم التالي . .

(دارين) . . أنا كلفتك بالقضية دي عشان عارف قدراتك الصحفية كويس أوي عايزك ترفعي راسي، أنتي عارفة إن دي قضية رأي عام و كل الناس بتتكلم عنها.

- متقلقش يا فندم إن شاء الله هكون عند حسن ظن حضرتك.
- ربنا يوفقك.

-دارين رياض- . . صحفية مجتهدة تعمل دائماً علي القضايا الساخنة التي يهتم بها المجتمع و تحديداً قضايا الفساد و ذلك يرجع إلي كرهها الشديد للفساد و الفاسدين، لديها شبكة علاقات واسعة، و بالرغم من أنها تعرضت إلي الكثير من المصاعب في مسيرتها الصحفية القصيرة إلا أنها تتمتع بجرأة كبيرة و طموح ممتد و هذا ما جعل منها صحفية ماهرة دائماً تجبر رؤسائها علي إختيارها في المهام الصعبة دون غيرها.

* * * * * *

خرج عمر من منزله بعد جلسة إعداد نفسي أعدها لها خاله تبعها دعوات صادقة بالتوفيق، و اتجه في طريقه إلي مكتب ضياء عرفة.
ما إن وصل فوجد حالة الإضطراب كما هي و كان الجميع يدلفون واحداً تلو الآخر إلي غرفة الإجتماعات التي يرؤسها الأستاذ ضياء.
جلس الجميع و عم الصمت المكان.
شعر عمر في هذه اللحظة بشعور لم يألفه من قبل . . أحس بشغفٍ شديد و رغبةً جامحةً لنيل هذه الفرصة . . إنصرف عنه التبلد الذي كان يتملكه في مثل هذه الإجتماعات . . هل لأن

القضية أكبر من أي قضيةٍ اخري؟ . . أم لأنه بدأ فعلاً في التغير؟ .
قطع تدفق أفكاره صوت ضياء عرفة و هو يهم بالحديث
لم تجد ليلي أمامها للخروج من هذه الأجواء سوي اللجوء للقراءة، فهي تعشق القراءة كثيراً و خاصةً الروايات . . كثيراً ما تمنت أن تعيش ملحمة مشابهة لما تقرأه في الروايات و لكنها كانت تؤمن بأن هناك تفاصيلاً لا مكانٍ لها علي أرض الواقع بل تظل مقيدةً فقط بين صفحات الرواية التي قام بتأليفها شخص يرغب أيضاً في أن يعيش تجربة مثلها، فالحياة في مجتمعنا تقتصر علي قلةٍ من التحديات التي يواجهها الشخص و لا يخرج منها بأي شيءٍ يُذكر، قليلون من يفكرون في الحياه بطريقةٍ مختلفة . . قليلون من يشبعون في أنفسهم رغبات يتجاهلها الآخرون، فالحياه ليست هوائاً نستنشقه أو أياماً تمر علينا و لكنها تجارب عديدة نخوضها و تترك في أنفسنا آثاراً . . أشياء نتمني القيام بها . . أماكن نسعي لزيارتها . . أشخاصاً نريد مقابلتهما . . ما أجمل الحياه عندما نراها كأحياء!
هكذا كانت تفكر ليلي . . بداخلها كم هائل من الطاقة و الحياه و لكنها تفقدهم شيئاً فشيئاً جراء ما تواجهه في تلك الأيام.

* * * * * *

ظلت دارين واقفة أمام مكتب ضياء عرفة في مغامرة صحفية جديدة . . فهي تبحث عن معلومات متعلقة بالقضية لذلك

وقفت في انتظار خروج أحد المحامين من المكتب كي تؤدي دورها الذي تتقنه بشدة و لا تكل و لا تمل من تأديته.

* * * * * *

أنا لما عرضت عليكم إن فيه حد هيشاركني الدفاع كنت قاصد القضية دي بالذات عشان دي قضية كبيرة و كان لازم أقدم لكم من خلالها فرصة ممكن تغير من حياتكم و هي كدة الحياه . فرص، إوعوا تكونوا فاكرين إن اسم -ضياء عرفة- دة جه من فراغ . . مفيش حد بيتولد كبير أنا كنت محامي صغير برضو بس أول ما لقيت فرصة زي دي مسكت فيها و مضيعتهاش من إيدي عشان عارف إنها مش هتيجي تاني، أنا دلوقتي هسمع كل واحد فيكم و اتمني تكونوا جاهزين.

بدأ في اختيار المتحدثين واحداً تلو الآخر . . كانوا يسردون محاضرات و مصطلحات يسمعها عمر للمرة الأولي . . أما ضياء عرفة كان يظهر إبتسامة بسيطة لكل المتحدثين . . إستمع للجميع و لم يتبق سوي عمر الذي أُصيب بالإحباط و اليأس مما سمع و ظل شارداً و لم يدرك أنه هو المتبقي، فجاءه صوت ضياء عرفة من بعيد:

- عمر !!

أفاق من غفلته و تنبه في تأهب و هو يقول:

- أيوة يا استاذ.

- اتفضل اتكلم إحنا سامعينك.
ربما كان الحديث أمام مجموعة من المنصتين أمراً ليس باليسير بعد أن ادي كل واحدٍ منهم دوره علي أكمل دور كرجال قانون متمرسين يعرفون ما يقولون جيداً، لذلك كان هو من المُهملين الذين تحدثوا أخيراً كنوع من الشكليات و بنسبة كبيرة الأستاذ اتخذ قراره و عرف من سيختار.

بدأ عمر حديثه بقليل من التمتمة ثم استرسل مستعيناً ببعضٍ من المواد القانونية و الإستنتاجات المتواضعة، كان حديثه بسيطاً خالي من التعقيدات . .
لم يبالِ بالنقاط العريضة التي كان من المفترض أنه سيتحدث في نطاقها فلم يكن حديثه طويلاً كالبقية . . دقائق معدودة و صمت.
ساد الصمت و اعتلي التوتر الوجوه بينما كان ضياء عرفة يجول ببصره بين الوجوه و في لحظةٍ سينمائية و هو يرجع بكرسيه إلي الوراء إذ به يقول:
- -عمر هو اللي هيمسك القضية- .
قالها و رحل خارجاً من غرفة الإجتماعات وسط دهشة من الجميع، جميع الأنظار كانت موجهة ناحية عمر الذي كان بداخله انفجار من الفرح و لكنه أبقاه كامناً بداخله كي يظهر

جدارته و خرج مسرعاً ليهرب من عيون التقصي تلك، أيقن حينها أن نفسه ستتغير و أن حياته حتماً ستتبدل.

* * * * * *

لم تنتظر دارين كثيراً أمام المكتب و كانت قد علمت بطريقةٍ ما بعرض ضياء عرفة علي المحامين بالمكتب، و بينما هي واقفة مستندة بظهرها علي سيارتها وجدت ضياء عرفة خارجاً يتبعه السائق و ركب سيارته و رحل.

لحظات و وجدت شاباً يخرج من البوابة . . كان طويل القامه . . شعره مُهذباً . . ملابسه مُهندمه، سريعاً ركبت سيارتها و اتجهت نحوه حتي أصبحت تسير بمحاذاته علي الطريق، حدثته بأسلوبٍ جذاب تتقنه قائلة:

- لو سمحت . . ممكن اخد من وقتك شوية.

بلا مبالاه نظر إليها مندهشاً بكلماتها و كأن سؤاله قد ارتد إليه و لكن بأسلوبٍ مختلف، و لكنه لم يكن بحاجة للمساعدة وقتها فقال لها في تعجب:

- أيوة . . اتفضلي

أشارت بيدها إلي داخل السيارة فاتسعت عيناه و هم ليسألها و لكنها قاطعته قائلة:

- اركب و هتفهم كل حاجة.

لم يجد امامه سوي أن يخضع لطلبها و ما إن جلس و أغلق الباب

فمدت يدها له قائلة:
- دارين رياض . . صحفية، و انطلقا إلي مكان لم يعرفه بعد . .

* * * * * *

كانت جالسة أمام التلفزيون بعد أن انتهت من المذاكرة، و سمعت بالخارج صوت والدتها و هي تتحدث مع طارق في الهاتف و بدت من كلماتها و كأن مكالمة طارق كانت تحمل أخباراً جيدة.
إنتهت من حديثها و ادلفت إلي غرفة ليلي و اعتلي وجهها إبتسامةً متواضعة و هي تقول:
- ليلي . . طارق بيقولي إن المحامي طمنه و إن شاء الله القضية سهلة
بملامح باردة نظرت لها ليلي و بفتورٍ شديد قالت:
- علي فكرة يا ماما هو بيقولك إن المحامي طمنه بس مطلعهوش براءة يعني.
تبدلت ملامحها و بإستغراب شديد قالت والدتها:
- يعني إيه !!
- انتي مش شايفة يا ماما ان رد فعلك over شوية.
- هو انتي مش فرحانة؟
غضبت ليلي و أردفت بأسلوبٍ صارم قائلة:
- فرحانة !! . . إيه اللي يفرح يعني . . واحد متهم في قضية غسيل أموال و خلاني مش قادرة انزل الكلية و لا اشوف حد

من صحابي و الناس كلها حوالينا مش بيشوفونا إلا لما بيبصولنا بنظرات الإتهام و كأننا فجأة أصبحنا خطر علي المجتمع في حاجة ملناش ذنب فيها، عايزاني افرح إزاي و انا بعد ما كنت بمشي راسي في السما مبقتش قادرة ابص في وش حد عشان الراجل اللي المفروض إنه ابويا طلع حرامي!!

قبل أن تتحدث والدتها قاطعتها ليلي مواصلة الحديث قائلة:

- بس اوعدك هحاول انسي كل دة وافرح بالإنجاز اللي حققه طارق، و ممكن كمان اكلمه اشكره . . مش انتي عايزة كدة؟!

لم تجد والدتها ما تقوله لها و قد سلبتها ليلي كل الكلمات . . ادارت وجهها ناحية الباب و خرجت من الغرفة.

جلسا سوياً في كافيه شهير في وسط البلد و ما إن جلسا فاتخذت هي زمام المبادرة قائلة:

- إنت طول الطريق ساكت و مقولتليش اسمك إيه.

بنبرة حادة قال لها:

- اسمي عمر، ممكن اعرف عايزة مني إيه؟

بإبتسامة عريضة أردفت:

- طيب حاضر هقولك علي كل حاجة.

كان حضورها قوياً و جذاباً . . تتمتع بصوتٍ دافيء و ملامح هادئة تبعث الإطمئنان في من يجلس أمامها و تسلبه إرادته

ليبوح لها بكل شيء . . كانت من الشخصيات التي تتمني أن تجد بداخلك ما ترويه لها.
إستكملت حديثها قائلة:
- زي ما قلتلك أنا بشتغل صحفية و بغطي القضية دي في الجورنال بتاعي
- ايوة يعني إيه المطلوب مني ؟!
أزعجتها قليلاً عباراته الحادة و لكنها حاولت أن تُلطف الأمور قائلة:
- إنت شكلك أول مرة تتكلم مع صحفية، بس علي العموم أنا هدخل في الموضوع علي طول. أنا عارفة إنك بتشتغل في مكتب ضياء عرفة و محتاجة اعرف معلومات أكتر عن القضية.
باستنكارٍ مصطنع قال:
- و انتي مين قالك إن المكتب بيشتغل علي القضية دي أساساً !
أطلقت ضحكة بسيطة و هي تقول :
- القضية دي كبيرة و متهم فيها عشر رجال أعمال كُبار، فا أكيد حد منهم موكل ضياء عرفة مش محتاجة كلام.
قام من جِلسته و هو يقول:
- لأ إطمني المكتب مش شغال علي القضية دي.
إندهشت لرد فعله الغير متوقع و اكتفت برسم إبتسامةً هادئة علي وجهها و قد أدركت أن الأمر لن يكون يسيراً.

لم يعلم لماذا تصرف معها هكذا، كان و كأنه أراد أن يرد لها معاملة سيئة في موقف لم تكن أحد أطرافه من الأساس، ربما كان لتوتره الشديد أثراً في ذلك أو لأنه لم يعتاد علي الحديث مع الصحافيين هكذا من قبل أو أنه لم يرد لأحد أن يشغله عن فرحته التي أراد أن يستمتع بها طويلاً.

* * * * * *

- - طارق بيه . . إزيك إيه الأخبار؟-

- الأخبار كلها عندك انت يا أستاذ ضياء . . طمني !

- متقلقش كله تمام، أنا خلاص اخترت ولد عندي هيشتغل معايا في القضية زي ما اتفقنا و اديتله عنوان بيت شريف بيه عشان لو احتاج تفاصيل أو معلومات أكتر.

- و لو إن آخر جملة دي ملهاش لازمة بس ماشي أنا هسيبك تعمل اللي انت عايزه، و خلي بالك أنا أملي فيك كبير.

- متقلقش خير إن شاء الله . .

* * * * * *

-مثل النساء جـميعهُن تعلمـتْ . . كيف الكلامُ بدون أن تـتكلمـا-

د. أحـمد خالد توفيق

الفصل الثالث

إستيقظ عمر من النوم علي صوت هاتفه . . قام من فراشه . . مسك هاتفه وضغط زر الإجابة:

- ألو
- أيوة يا عمر إزيك . . إنت لسة نايم ؟!
- لا يا أستاذ ضياء أنا صاحي إتفضل
- أنا بكلمك عشان أقولك متجيش المكتب النهاردة عشان فيه ورق مهم عايزك تروح تجيبه من مكتب شريف رضوان.
- و المكتب دة فين ؟
- في بيته علي العنوان اللي هبعتهولك في رسالة دلوقتي، أنا مفهم مدام مريم علي كل حاجة، عرفها بنفسك و هي هتديلك الورق.
- حاضر يا أستاذ . . مع السلامة.
- سلام.

وضع هاتفه جانباً و ارتمي بجسده علي الفراش مرة أخري و قد أدرك جيداً أن رأسه قد بدأت تزدحم بالأفكار و أن روتينه اليومي علي وشك التغير.

سمع صوت طرقات هادئة علي باب غرفته فقال بصوتٍ مرتفع:
- إتفضل يا خالو
دخل خاله و هو يرتدي ملابسه مستعداً للذهاب لعمله و هو يقول له:
- صباح الخير يا عمر . . إنت رجعت إمتي امبارح ؟
- صباح الخير يا خالو، يعني الساعة واحدة تقريباً كنت قاعد مع إيهاب صاحبي متقلقش.
- طيب ماشي، أنا نازل مش عايز حاجة. قالها و هو يستدير خارجاً من الغرفة فاستوقفه عمر بعد أن قام من فراشه و هو يقول:
- إستني يا خالو نسيت اقولك علي حاجة مهمة
وقف و نظر له مجدداً قائلاً:
- ماشي إنجز عشان مستعجل
- أنا مسكت قضية جديدة.
إبتسم خاله و هو يقول:
- بجد !! مبروك يا عمر، مين الموكِل حد معروف ؟
- شريف رضوان
ذهبت الإبتسامة من علي وجه خاله و حل محلها ملامح تعجب صريحة فاستكمل عمر قائلاً:
- هو مش موكلني انا بس ضياء عرفة مكلفني بالقضية دي.

أدار خاله وجهه مجدداً و هو متجه ناحية الباب خارجاً قال:
- شد حيلك يا عمر ربنا يوفقك.
بدا من فرحته الفاترة و كأن هناك شيئاً لا يروق له في الأمر، و عمر لم يكن في حالة يقظة جيدة كي يدرك ما في الأمر فلم يبالي.
أحضرت بعض الأوراق البيضاء و جلست تعاود ما بدأته سلفاً، فقد اعتادت أن تدون كل ما تشعر به علي الورق و لكن هناك العديد من هذه المذكرات مفقودة ولا تعلم أين هي حتي الآن، مسكت بالقلم و بدأت الكتابة من جديد. .

- أكتوبر ٢٠٠٤ . .

أسوأ فترات حياتي أعيشها الآن . . كثيرٌ من الأزمات التي تأتي تباعاً تُفقد نفسي رغبتها في الحياه و شغفها بالأشياء . . إن كان وجود شخص ما في حياتي يسبب لي الضيق فغيابه قد عوض حضوره مُحدِثاً أثر نفسي مؤلم يسبب لي المعاناه تماماً كالماضي . . كثيراً أردت أن أبتعد عن كل هذا . . أن أبتعد كلما أمكنني البُعد و لكن دائماً ضعفي أقوي من إرادتي فأبقي وحيدة جسد بلا روح . . لا أري شيئاً جميلاً حتي و إن كان فإنني اعتدتُ علي رؤية القبح. أسير في طريقٍ مظلم لا أعلم له نهاية غير الفناء . . لا أعلم متي سينفك هذا الأسر و أعود لحياتي من جديد بعد أن فقدت كل ما

تبقي منها . . بداخلي عيون سوداء لا تري إلا الظلام . . و كأنني كنت أملك ورقة فائقة النقاء و لكنني بعد ما لطختها بهمومي لم تعد بيضاء. -

توقفت (نور) عن القراءة قليلاً بعد أن أصابها شيء من الإندهاش، من بداية ما قرأت و هي تشعر أن هذه القصة مألوفة بالنسبة لها و كأنها رواية نُشِرت في الماضي و أعاد صاحبها إرسالها لها مرة أخري، كان النص مكتوباً بخط اليد و لكن هناك بعض الأوراق المختلفة عن خط الكاتب، كان أيضاً شكل تلك الأوراق مختلفاً عن أوراق الرواية ككل.

تريد أن تكمل القراءة بقدر ما تريد أن تتوقف فكانت في منتصف المسافة . . وضع محايد سيجعل تقييمها للرواية أكثر رشداً دون التأثر بشيء يتدخل في إتخاذ القرار بنشرها أم لا، و لكنها تعاطفت كثيراً مع شخصية ليلي و شعرت بالأسف تجاهها و تجاه موقفها المتأزم و ربما هذا ما سيجعلها تكمل القراءة من جديد.

* * * * * *

السادسة مساءً . .

وصل عمر إلي منزل شريف رضوان . . دخل من الباب ليلقي أمامه شخص طويل القامة . . شعر مجعد و لحية غير مهذبة . يرتدي قميص بسيط و بنطلون و حذاء لامع يستمد منه ثقته المعهودة و هو يطلق سؤاله المعتاد:

- طالع عند مين يا أستاذ؟

- شقة أستاذ شريف رضوان.

صعد عمر بعد أن وصِف له مكان الشقة بالضبط . . كان مبني ضخم ألوانه زاهية و مساحاته شاسعة يشبه الكثير من مباني أحياء القاهرة التي يسكنها الأثرياء.

كانت الشقة في الطابق العاشر، و استغل عمر ذلك في أن يتخذ المصعد مكاناً كي يُعدل من هندامه الذي اهتُريء قليلاً من الإنتقال بين المواصلات المختلفة.

وصل إلي الشقة بعد أن أصبحت هيئته تليق بمحامي موقر . . طرق الباب طرقةً بسيطةً ثم عاد للوراء خطوتين . . فتحت له سيدة أربعينية و قبل أن تتحدث بادر هو بالحديث قائلاً:

- أنا عمر عبد الله من مكتب أستاذ ضياء عرفة.

إبتسمت قليلاً و دعته للدخول و هي تقول:

- أهلاً يا متر . . إتفضل.
كان البيت غير منظماً علي الإطلاق . . العشوائية كانت ظاهرة في كل ركن من الأركان . . توجد أشياء كثيرة في البيت تنم عن ثراء أهله و لكن ليس لها أي معني وسط هذا العبث.
كان المنظر خير دليل علي حالة من يعيشون في هذا المنزل . . أموال كثيرة و أماني محققة و حُطام نفسيات لأُناس كانوا هنا منذ أعوام.

* * * * * *

كان الجميع يستعدون للرحيل عندما فوجئوا بدخول طارق أبو النجا المكتب، توجه مباشرةً إلي السيكرتيرة و أخبرها بأنه يريد مقابلة الأستاذ فلم تستغرق سماعة الهاتف علي أذنها بضعة ثواني و كانت تفتح له الباب للدخول.
كان ضياء عرفة منهمكاً يلملم أوراق من هنا و هناك و عندما رأي طارق اعتلت وجهه الإبتسامة السخيفة تلك قائلاً:
- أهلاً طارق بيه . . تشرب إيه؟
- لأ متشكر أنا جايلك من ريش و شارب قهوتي و كله تمام، أنا فيه حاجة كدة كنت عايز اكلمك فيها، أنا عارف هي مش مستاهلة بس أنا مبحبش الكلام الكتير في التليفون.
إنتبه ضياء عرفة قائلاً:
- إيه فيه حاجة جديدة ولا إيه؟

- في بت محامية اسمها (رانيا جودة) عمالة تنخرب و زايطة أوي في حكاية المال العام و قوت الغلابة . . العيال الثورجية دول مانت عارفهم.
- لأ متقلقش فيه منها كتير بيحبوا يبقي ليهم صوت في القضايا اللي زي دي بس عشان يتعرفوا و يبقي لهم إسم و خلاص، إنما هي عارفة حدودها كويس يعني شوشرة فارغة و بتنزل علي مفيش، و لو عدت حدودها انا هعرف ابعدها ازاي.
إبتسم ضياء عرفة ابتسامةً خفيفة ثم تابع قائلاً:
- إنما انت يا طارق بيه مجتش رجلك ليه في القضية دي؟ . . أنا عارف انك ماشي في السليم بس برضو فيه ناس كتير ملهاش في حاجة بتيجي في الرجلين.
ضحك طارق بصوتٍ مرتفع ثم قال:
- أنا عارف انك هتسأل السؤال دة، بص يا ضياء بيه مبيجيش في القضايا اللي زي دي غير الأغبياء . . الواحد من دول تلاقيه شبعان بعد جوع . . أسطول عربيات . . شاليهات و قصور بالهبل . . أراضي ملهاش آخر فا لازم يتجاب، و انت فكرك شريف رضوان يهمني في إيه غير إني مش مشارك غيره في أي حاجة، يعني لو اتحبس راس مالي هينزل النص.
قاطعه ضياء عرفة مبتسماً:
- يا طارق بيه راس مالك مش هينقص شعره.

ضحك طارق و هو يلقي عليه السلام راحلاً.

* * * * * *

-إتفضل استريح و هجيبلك الملف من المكتب-.

جلس عمر علي كرسي من أربعة يتراصون في وضع دائري، كان وضع كرسيه يسمح لبصره أن يمتد إلي طُرقة طويلة أمامه في نهايتها غرفة موصدة . . حاول أن يتحلي بالذوق و ألا ينظر كثيراً حوله كمقاولي العقارات فقرر أن يسرح بمخيلته في أي شيء يبقيه متوازناً .

عاد بذاكرته إلي عدة سنين للوراء عندما كان في أوائل العشرينات طالباً في كلية الحقوق . . كان جالساً في الشرفة في مواجهة خاله، كان يحدثه عن مستقبله الغير معلوم الملامح . . عمر كان يكره المحاماه و لا يجد بها أي شغف . . إلتحق بكلية لم يفكر بها مسلوب الإرادة بسبب مجموع الثانوية الذي أزال الإختيارات من أمامه . . كان يشعر بحزنٍ شديد بسبب ذلك و لكن خاله كان له رأيٌ آخر عندما قال:

- مفيش حاجة اسمها بحب و مبحبش، الإنسان عنده عقل يخليه عبقري في أي مجال بس إحنا دايماً اللي بنصنع المشكلة . . إنت مبتحبش حاجة انت لسة مشتغلتهاش . . قدام هتعرف إن دة نصيبك لأن ربنا ليه حكمة في كل شيء . . إنت عايش في دولة نامية مش بتقدر المجال دة اللي هو في دول تانية الناس بتتنافس

عشان تدخله . . لو عايز تحقق حاجة في حياتك و تسيب أثر الناس تفتكرك بيه لازم متفكرش في الحجج التافهة دي و تشتغل بجد عشان محدش هيتحايل عليك تكون كويس ولا حتي أنا.

لاحظ حركةٍ ما أمامه أعادته للواقع مجدداً . . كان باب الغرفة في نهاية الطرقة يُفتح و يخرج منه أحد . . لم يدقق النظر و ركز بصره في الأرض لكن شخص ما كان آتياً نحوه فلم ينتبه و في لحظةٍ ما سمع نبرة صوت هادئة تقول:

- مساء الخير . . حضرتك تشرب إيه؟

رفع وجهه بإبتسامةٍ و لكنها تبدلت علي الفور عندما رأي وجه من يحدثه . . تبدلت ابتسامتها هي الأخري و اعتلي الصمت المشهد . . لم ينسي وجهها فلم يُفارق مخيلته و هي أيضاً لم تنساه . . كانت ثواني معدودة ظل كل منهما يرمق الآخر في انتظار من سيتحدث أولاً فلم يفعلا.

تخللت مدام مريم صمت المشهد بعودتها مجدداً بالملف و هى تقول:

- أنا آسفة . . نسيت اسألك تشرب إيه؟

قاطعها عمر و هو يأخذ الملف قائلاً:

- لأ متشكر مفيش داعي . . أنا هسيب لحضرتك رقم موبايلي و تقدري تكلميني في أي وقت. علامات الذهول لا تزال علي وجههما . . كانت ضربات قلبه متسارعة فأخذ الملف سريعاً و رحل.

كان جالساً بالمنزل في انتظار عودة عمر . . فوجيء بهاتفه يرن برقم غريب . . ضغط زر الإجابة فلم يمهله الطرف الآخر فرصة لبدء الحديث قائلاً:

- ألو . . ازيك يا دكتور عبد العزيز

- مين معايا ؟!

- معقولة نسيت صوتي، أنا (رمزي) يا خالو.

إتسعت ابتسامته و هو يقول في سرور:

- رمزي . . معلش يا حبيبي مخدتش بالي، عامل ايه و إيه إخبارك؟

- أنا كويس يا خالو . . طمنّي عليك انت و عمر.

- إحنا بخير الحمد لله.

- معلش انا بكلمك في وقت متأخر بس انت عارف غصب عني . . أنا قلت اتصل بيكوا عشان بقالنا كتير متكلمناش و بيني و بينك كدة مصر وحشتني و بفكر انزل قريب .

كانت هذه الكلمات مسببات سعادة بالنسبة له فاستطرد قائلاً:

- دة خبر حلو أوي عمر هيفرح لما يسمعه . . طيب اسمع قبل ما تنزل ابقي كلمني متنساش.

- حاضر يا خالو . . الواد عمر جنبك؟

- لا يا حبيبي لسه مرجعش من بره.

- طب لما يرجع سلملي عليه كتير، يالا مع السلامة.

- سلام.

بالرغم من أنه مهاجر منذ زمن إلي أنه لم ينسي عمر و خاله و هو يعلم أنهما ما تبقيا له من أهله لذلك كان حريصاً علي أن يكون دائم التواصل معهما.
رمزي كان يتمني منذ صغره الهجرة و بالفعل بمجرد أن أنهي دراسته عزم الرحيل و هاجر إلي لندن منذ سنوات . . كان يريد المثل لعمر لكنه رفض و هو دائم الإلحاح و المحاولة و لكن دون جدوي.

* * * * * *

قرر أن يسير قليلاً بمحاذاة كورنيش جاردن سيتي و لازال عقله يحاول أن يستوعب ماذا حدث منذ قليل، هل يعقل أن تكون هي نفس الفتاه التي رآها في صباح ذلك اليوم المشئوم . . و لماذا هي؟! . . كان الموقف يحمل الكثير من السخرية أكثر من أي شيء.
كانت صدفة تشبه مشاهد السينما المبتذلة التي يتنبأ بها المشاهدين محدودي الذكاء . . لم يفرح أو يقنع نفسه بأن القدر قد وضعه أمام نصيبه أو أن السماء قد رتبت هذا اللقاء، فهو لم يكن بهذه السذاجة إطلاقاً . . نعم كانت جميلة . . مشرقة . جذابة . . تتردد إلي مخيلته من حينٍ إلي آخر لكنه لم يشغل نفسه بها.
فتصرفه منذ البداية كان بدافع المروءة التي حتمت عليه مساعدة

فتاه مسكينة كانت في حالة يُرثي لها، فهو لديه قضية كبيرة عليه أن يعمل عليها و ألا يلتفت إلي أي شيءٍ آخر يعيقه عن تحقيق ذاته.
كانت الساعة قد قاربت علي الثامنة مساءً فقرر أن يذهب لأصدقائه الذين لم يراهم منذ بضعة شهور . . فتخلص من تلك الأفكار التي تُثقّل من حركته و أسرع من خطاه متجهاً إليهم.

* * * * * *

كانت جالسة بالخارج مع والدتها يشاهدن التلفزيون بعد أن قررت أن تغادر غرفتها قليلاً التي لم تفارقها منذ فترات، علاقتها بوالدتها بدأت تتحسن . . هي لا تريد أن تنعزل عن العالم و لا تريد أن تقاطع والدتها و لا تريد ذلك المناخ الكئيب، هي تريد أن تحيا سعيدة بلا هموم كمن في عمرها . . تذهب للكلية صباحاً تقابل أصدقائها و تشاهد الناس . . تعود لمنزلها تقرأ . . تذاكر . . تستمع للموسيقي . . تقضي الليل بصحبة من في البيت يتحدثون . . يضحكون . . يشاهدون التلفزيون ثم يخلدون للنوم و يتكرر هذا كل يوم، لم تكن تتخيل أنها ستقضي عشريناتها أسيرة غرفة كئيبة مظلمة يأتيها بصيص النور من خارج أسوارها العالية، فكانت تريد السعادة و الضحك و السرور هنا و هناك و في كل جانب من جوانب حياتها، فخشيت أن تدخل في نوبة اكتئاب لذلك قررت أن تخرج للحياة قليلاً أو تترك نفسها علي

طبيعتها لعل ذلك يهون الأمور أو يأتي بأي جديد.

* * * * * *

كان واقفاً بجوار صديقه إيهاب ينظرون للنيل و هو يتراقص بين أضواء المراكب التي تحمل البؤساء من بر لآخر و كأنهم بذلك سيصبحوا سعداء.

كان إيهاب يلومه لأنه ألقي بنفسه في حفرة من المتاعب - من وجهة نظره – خروجه منها لن يكون باليسير، و لكن عمر كان لديه المبررات فتحدث قائلاً:

- كنت عايزني اعمل إيه يا إيهاب . . حط نفسك مكاني، خالي بيصرف عليا من سنين لحد ما بقيت زي الشحط و ماليش أي لازمة، تفتكر مرتبي اللي مش بيقوم البيت يومين دة كفاية! ولا السمكتين المعضمين اللي برجعله بيهم كل فين و فين دول هيريحوه، أنا مش هستني منه كلام عشان هو مش هيتكلم . . أنا لازم اعمل حاجة . . مش هقضي طول حياتي ع السوردة اللي نعِم من كُتر سندتي عليه.

فأردف إيهاب قائلاً:

- يا عمر انت عندك حق لازم تعمل حاجة بس القضية دي كبيرة و انت بتشتغل مع محامي معندوش مبدأ، لو عايز تكمل كمل بس خلي بالك من نفسك.

هز رأسه موافقاً . . نظر في ساعته فوجدها قاربت علي منتصف الليل فودعه و ودع البقية و رحل.

دخلت المنزل و هي في حالة إرهاقٍ شديد . . ألقت حقيبتها بعيداً و ارتمت بجسدها علي أحد الكراسي بعد يوم عملٍ شاق استمر لما يقرب من عشر ساعات . . كانت تحاول أن تبذل ما بوسعها لتعويض إخفاقها في القضية التي فشلت في إجراء حديث مع عمر بشأنها، لم تنكر أنها فشلت في محاورته برغم قوتها في ذلك، و لكن عمر لم يكن متعاوناً هو الآخر، فعمر بالرغم من أنه يحمل طباعاً طيبة و هادئة فإنه في بعض الأحيان يكون صلباً . . قاسياً . . غليظاً مع الناس و مع نفسه، يبدو و كأنه حائط معتم لن تحصل منه علي أي شيء يسرك أو يحزنك، مزاج مضطرب دائماً يخلق تناقضات بارزة تؤرقه هو قبل أي شيء.

* * * * * *

عاد للمنزل ليجد خاله مستغرقاً في نومه كعادته في هذا الوقت من الليل . . وضع الملف علي المكتب و كان مكتوب عليه من الخارج -شئون مالية-، وقف أمامه يقلب في صفحاته التي تحتوي جميعها علي أرصدة حسابات بنوك و أوراق مالية اخري، و لكنه وجد بعض الأوراق الشاذة التي أثارت انتباهه . . كانت تحمل كل الصفات التي تجعل منها مذكرات لشخصٍ ما . . عبارات مكتوبة بخط اليد . . تاريخ بالسنة و الشهر فوق كل ورقة . .

إحدي هذه الأوراق لم تكن ممتلئة بالكلمات . . كانت تدوينة من سطر واحد كالآتي:

٢٠ نوفمبر ٢٠٠٠ . .

-تلك الصفحات ستكون شاهدةً علي الأيام.. الأشخاص.. و نفسي-.

* * * * * *

- مِـن أجـل الـوردِ يُسقي العليـق. -

- نـجيب مـحفوظ

الفصل الرابع

كان موعد إنتهاء العمل بالمكتب قد حان، فاتجه إلي الكافتيريا المجاورة التي يدلف إليها كل الموظفين الذين يعملون في الأماكن المجاورة في هذا الوقت لإستنشاق بعض الهواء و احتساء جرعة منشطة من أي مشروب منبه يُحسن من الحالة المزاجية للدماغ المرهقة بالضغوط.

لم يكن عمر من ضمن هؤلاء يوماً، كان ينتهي من عمله في المكتب و يذهب مسرعاً إلي البيت لينال قسطاً من الراحة قبل أن يذهب للصيد ليلاً، و لكن الأفكار التي ألمت برأسه و القضية التي شغلت عقله أجبرته أن يتبع نهج هؤلاء البؤساء بعد أن اهمل الصيد تماماً و اكتفي بذلك المكان الذي أشبه بالمعدية التي تسير بهم من برٍ إلي آخر و هم يستمتعون بذلك المكان لأنه لا يوجد في الرحلة أجمل من الطريق.

* * * * * *

-نوفمبر ٢٠٠٤ . .

اليوم مر رتيباً كسائر الأيام . . كم سئمت من نفسي و من وضعي البائس . . أنا لست ذلك الشخص الكئيب الذي يمجد العزلة و يزين أسوارها . . لا أريد لوجهي أن يكون عابساً ولا لقلبي أن يكون خائفاً ولا لعقلي أن يكون هارباً من أية أفكارٍ إيجابية . . نعم هناك تحسن ما في حالتي و في الحياة عموماً و لكن. .

ماذا سيفعلُ شعاعٌ خافتُ   في مسرحٍ مليءٍ بالأنوارِ يتلألأُ
هل سأعيشُ عُمري لآخرهُ   في جسدٍ هزيلٍ و قلبٍ يتألمُ
هل قدري يوماً ما يتبسمُ   و يَطيبُ لِيَ الزمانُ أو يعودُ كسابقهُ
فمن ذا الذي يعيشُ أجملَ أيامهُ   بعينٍ تنام و دمعٌ بداخِلِها يتَرقرقُ-

أصدر هاتفها ضجيجاً أخرجها من خيالها و أعادها للواقع مرةً أخري، نظرت لشاشة الهاتف فوجدت المتصل طارق . . علي الفور ارتسمت ملامح الضيق علي وجهها . . فضغطت زر الإجابة في حنق و وضعت الهاتف علي أذنها و لم تقل شيئاً . . لم ينتظر ترحيبها طويلاً فتحدث قائلاً:

- ليلي . . عاملة ايه؟

- تمام يا طارق الحمد لله.
لم تهتم أن تسأله عن حدوث أي شيء جديد في القضية فكان ردها مقتضباً يُعجل من إنهاء المكالمة، لم يطيل معها الحديث فأخبرها أنه سيمر عليهم للإطمئنان مساءً و انتهت المكالمة.
أحياناً تسأل نفسها إن كان طارق يستحق هذه المعاملة الجافة فعلاً؟ أم أنها تبالغ بعض الشيء؟، فهو إبن خالتها و يتصرف كرجل نبيل يقف بجانبها هي و والدتها في محنتهما، و لكنها ترجع مرةً أخري إلي رشدها و تذكر نفسها أنها تدرك جيداً ما الدافع من وراء كل هذا و ما الذي يرنو إليه.
فعقل الأنثي يتمتع بالذكاء الكافي لإدراك المحاولات الحمقاء للتقرب إلي قلبها، لذا فمن يظن نفسه بارعاً في الإيقاع بها مخطيء و حتي إن نجح في ذلك فهذا يكون بإرادتها كاملةً و هي توهمه بإتقان بأنه نجح في أن يظفر بها.
فطرة الحياه فرضت علي الرجل مهمة التقرب و التودد و التي تفقده دائماً قدراً لا بأس به من كرامته و ثقته بنفسه مما أدي إلي ظهور مقولات مثل -لا كرامة في الحب- أو -الحب أعمي- فقط لتهون علي الرجل معاناته و تبرر له الإنكسار الذي يجتاحه عندما تفشل محاولاته في التقرب لإحداهن ليس إلا.
أما المرأة فكُتبت لها العزة و الكبرياء، قليلاً ما تجد من تخبرك بأنها مغرمة بك حتي و إن كانت فإنها لن تبوح بها لأسباب دائماً

مقنعة في مختلف الثقافات، و بالتالي فهي الهدف المنشود و دائماً هي من لديها القدرة علي التحكم في زمام الأمور و تلك هي الحقيقة الصادمة التي لا يؤمن بها معظم الرجال.

هذا التمييز هو الذي جعل العلاقات بين البشر أكثر تعقيداً و تشابكاً، دائماً تطالب المرأة بالمساواه بينها و بين الرجل في كل شيء، و لكن عندما يتعلق الأمر بالقلوب يسير المسكين في الطريق وحيداً.

كان قد انتهي من قهوته و اتجه للرحيل، و بينما هو في طريقه وجد ضياء عرفة يتصل به، شعر بالغرابة بعض الشيء و لكنه قام بالرد و قبل أن يتحدث كان ضياء عرفة حاضراً بالكلمات قائلاً:

- عمر . . الملف اللي انت جبته من مدام مريم ناقصه مستندات مهمة، فمعلش ممكن تروح النهاردة تجيب باقي الورق عشان مهم جداً، أنا كلمت مدام مريم و اتفقت معاها علي كل حاجة.

لم يجد عمر ما يفعله سوي التحلي بالبرود و التبلد قائلاً:

- حاضر يا أستاذ.

بلا شك كان يشعر بالضيق، فهو لا يريد أن يذهب مرة أخري و يري تلك الفتاه و يشعر بالخجل مجدداً، عندما رآها في المرة الأولي ذكرته بالموقف السخيف الذي كان به و بسذاجته و هو يتدخل فيما لا يعنيه، لم يكن يعلم إن كان تصرفه نبيلاً أم متطفلاً، هذا التفكير الذي لن يضيف أي جديد إلي أي شيء و لن يمنعه

من الذهاب و لكنه اعتاد أن يعبث بعقله في ترهات لا معني لها عندما يكون متوتراً.
كان يستنكر بشدة طلبات ضياء عرفة منه فهو من المفترض أن يكون جالساً و البقية تؤتيه بما يطلبه و ليس العكس فهو الآن محامي من طراز رفيع يعمل علي قضية كبيرة تشغل الكثيرين لا ينبغي له أن يكون هكذا يفعل ما يؤمر به دون تفكير.

* * * * * *

كان جالساً في الشرفة بعد أن عاد من عمله و لم يجد عمر، الأمر الذي اعتاده في الفترة الأخيرة، فجأةً و بدون مقدمات أصبح عمر من هؤلاء المشغولين و الغير متاحين طوال الوقت بعد أن كان يعود من عمله يجده بإنتظاره أصبح لا يراه كثيراً بل أن هناك أيام تمر كاملةً دون أن يراه، الحديث بينهما صار قصيراً و في أضيق الحدود، هو يعلم أن عمر من المفترض أن يكون هكذا و هذا هو الوضع الطبيعي لشخص مثله، و لكنه كان يشعر بالقلق قليلاً حيال تلك القضية التي يعمل عليها تحت إشراف ضياء عرفة فهو يعلمه جيداً معدوم المباديء . . فاسد . . أناني . . إبتزازي . . من الاشخاص الذين لا ترغب في التعامل معهم و هذا ما كان يقلقه و يؤرقه كثيراً.
أثناء شروده و جد عمر يفتح الباب و يدخل ملقياً عليه السلام قائلاً:

- إزيك يا خالو . . يالا نتغدي بسرعة عشان عندي مشوار مهم كمان ساعة.
نظر خاله للسماء . . إبتسم ابتسامةً مؤكدة لأفكاره ثم قام من جلسته للداخل. .
أثناء الغداء كان كلاهما ينظر في الطعام الموضوع أمامه علي غير المعتاد، فقرر خاله أن يخبره بموضوع رمزي في محاولة لكسر الصمت نوعاً ما قائلاً:
- صحيح يا عمر . . نسيت أقولك . . مش رمزي ابن خالتك كلمني من يومين
نظر إليه عمر بإهتمامٍ فاتر و هو يقول:
- بجد! و إيه أخباره؟
أردف خاله قائلاً:
- هو كويس الحمد لله كان بيسأل علينا و بيقول إنه نازل مصر قريب.
إبتسم عمر و بدا و كأن هذا الخبر قد ادخل في قلبه السرور فقال:
- و دة خبر برضو تخبيه عني يا خالي كل دة، كويس انه جاي أحسن واحشني أوي، قالها و هو يقوم منتهياً من طعامه.
تبعه خاله و هو يحمل بعض الأطباق قائلاً:
- لا يا شيخ، علي أساس اني بشوفك ولا بقعد معاك أصلاً، دة احنا

مبنتقابلش غير وقت النوم إن اتقابلنا، دي بقت ولا اللوكاندة.
ضحك عمر ضحكةً عاليةً جعلت الدم يتدفق لوجهه ليبدو أحمراً و هو يقول:

- ما هو نومك بدري دة هو اللي مش مخليني عارف اتلم عليك، فيه حاجات عايز احكيهالك و كل اما ادخل البيت الاقيك في سابع نومة.

إبتسم خاله و قال:

- مش ورايا شغل يابني! ولا فاكرني عشوائي زيك، عموماً بكرة اجازة روح مشوارك و انا هشغل الست و انام لي ساعتين عقبال ما تيجي.

- إتفقنا، قالها عمر و هو يبدل ملابسه مستعداً للرحيل.

و بعدين يا دارين! إزاي يعني فات حوالي إسبوعين و مفيش أي جديد، أنا بصراحة مش شايف غير إنك مش شايفة شغلك، أنا عارف إن القضية تقيلة لو مش قادرة تغطيها أشوف حد بدالك أو علي الأقل حد يشتغل معاكي علي الموضوع، إنما كدة مش هينفع.

إعتادت علي سماع تلك الكلمات المألوفة التي ترد علي أذنيها عند وجود قضية كبيرة تشغل الرأي العام، و يخشي رئيس التحرير ألا تتضمن صحيفته أية أخبار جديدة عن هذه القضية، كانت تعرف جيداً كيف تتصرف في هذه المواقف، إستقبلت كلماته

بابتسامة بشوشة و ردت قائلة:

- يا فندم القضية فعلاً ماشية ببطء مش تقصير مني ولا حاجة، و دة أمر طبيعي يعني حضرتك أستاذ و عارف إن القضايا اللي زي دي مش بالسهل يتعرف عنها حاجة، و علي العموم أنا عارفة إن ميعاد الجلسة الأولي قرب و أوعد حضرتك إن شاء الله بشغل أحسن جاي.

إكتفي بهز رأسه مظهراً القليل من الرضا بينما خرجت هي من مكتبه الذي لا يختلف كثيراً عن مكتب ضياء عرفة أو طارق أبو النجا أو غيرهما، كل ما يريده هو عناوين ساخنة تجذب القاريء و تزيد الإقبال علي الصحيفة و من ثم زيادة الإعلانات، هذا الهدف الذي يتيح له استخدام كل الوسائل المشروعة منها و الغير مشروعة كي يصل إليه.

* * * * * *

-الصدفة كانت ستفقد الكثير من معناها إن لم تأتينا و نحن في مزاجٍ مخالف لما ينبغي أن نكون عليه. -

الفصل الخامس

وصل في ميعاده كالعادة، لم يسأله البواب هذه المرة عن هويته، كان يفكر طوال الطريق في تصرفه عندما يراها، ماذا سيفعل؟ لم تشغله هيئته هذه المرة إطلاقاً، بدا كالطفل العائد لمنزله بعد يومٍ طويل قضاه في الشارع، دخل المصعد و حاول أن يصلح من مظهره بعض الشيء و لكن المصعد كان أسرع منه فوجد نفسه أمام باب الشقة.

كانت جالسة أمام التلفزيون تشاهد فيلماً أمريكياً مر علي إنتاجه ما يقرب من خمسون عاماً، تشعر بالريبة بعض الشيء في التحولات التي تطرأ علي شخصيتها، فهي لم تكن من هواة مشاهدة الأفلام و لم تكن من هؤلاء الذين يجلسون بالساعات أمامها، و هي الآن جالسة تتابع التفاصيل بعمق و تركيز مستمتعة بما يدور أمامها و كأن أزمتها قد جعلتها تُعيد اكتشاف شخصيتها من جديد.

* * * * * *

جلس علي كرسيه في الشرفة . . وضع بجانبه كوباً من الشاي و جهاز تسجيل قديم محتفظ به هو و شرائط أغاني أم كلثوم . .

كان الهواء دافعاً كافياً لقضاء الليلة كاملةً علي هذا الكرسي، كان ذلك اليوم هو آخر أيام الأسبوع، لذلك كانت القهوة المواجهة للبيت مكتظة بالزبائن الذين قرروا أن يقضوا ليلتهم في تلك الجِلسة التي تمنحك مشروباً دافئاً و مساحة من الوقت و التركيز لعقلك للتأمل في أشياء كنت قد أجلت التفكير بها إلي ذلك الوقت الذي تجلس فيه هكذا، كان الدكتور عبد العزيز يعشق التأمل في وجوه الناس و متابعة حركات الجلد التي تسري مبعثرة الملامح و كأنها لوحة تُرسم في طيات الوجوه، كان يقتنص هؤلاء الذين يجلسون بـمفردهم و يتابعهم عن كثب، تلك النظرة إلي الكوب الذي يشربه و كأنه يودعه قبل أن يلتهمه . . الدخول في حالة من السرحان التي تُجبر العينين علي النظر في الأرض حتي تأتي فتاه تمر من أمامه فتهدم خياله الذي بناه في دقائق فيتحاشي النظر إليها فلا يستطيع ثم يأخذ رشفةً من مشروبه تسمح له بإختلاس نظرةً سريعة كأنه لم يكن ليحيا إلا بها.
كان سكنهم في الدور الأول يسمح للدكتور عبد العزيز بمراقبة تلك المشاهد الحية التي تُجسد سلوك البشر و هم ينفردون بأنفسهم مخيل إليهم أن لا أحد يراهم.

- إتفضل يا أستاذ عمر، معلش تاعبينك معانا.
- لأ عادي مفيش مشكلة دة شغلي.

* * * * * *

قالها و هو يدلف للداخل حيث تعمد ألا يجلس علي نفس الكرسي الذي جلس عليه المرة الفائتة متحاشياً رؤيتها.
ذهبت مدام مريم بينما جلس هو يفكر لماذا لم يعيد تلك الأوراق التي وجدها داخل الملف السابق، ربما قد نسي أو تناسي هذا الأمر بدافع الفضول، من المؤكد أنه وجد في هذه الأوراق مادة ترفيهية يقضي فيها الجزء الأخير من ليلته و هو علي وشك النوم خاصةً و أن تلك الليالي الأخيرة التي مر بها كانت ثقيلة محملة بالتفكير و الإنشغال بأفكار لم تكن تشغله و أصبحت كذلك، فابالتالي كان يحتاج لشيء يُفرغ فيه طاقته الليلية بدلاً من أن يفرغها في التفكير، أو هذا ما برره هو لنفسه حتي لا يعترف بكل بساطة أن فضوله قد غلبه.
لم يكن يعرف حقيقةً إن كان يريد أن يراها أم لا، يشعر بأنه يريد رؤيتها و لكن إن رآها أقبلت سيتبدل مزاجه، لذلك كان يمقت رؤيتها هي له حتي لا يقع في تلك المواقف المحرجة التي تقتله.
كان الصمت السائد ملتحماً مع أفكاره فكانت ملامحه أشبه بتمثال أفسده صوت جرس الباب الذي جاء مبعثراً لكل شيء.

* * * * * *

بدأت نسمات الهواء تأتيه باردةً تحمل في ثناياها الشعور بالنوم مما دفعه للقيام من الجلسة الشاعرية تلك لتحضير فنجان قهوة يُعيد له تركيزه مرةً أخري.

كان متجهاً للمطبخ عندما لمح غرفة عمر أثناء مروره و الهواء قد بعثر بعضاً من الأوراق و ألقي بها أرضاً، أغلق النافذة و جلس يلملم الأوراق الملقاه فوقعت عيناه علي إحداهن و كان مكتوب بها الآتي. .

- ديسمبر ٢٠٠٠ . .

إستيقظت الآن في حالةٍ مزاجية جيدة، في الأيام الماضية أصبحت الحياة أكثر هدوئاً، تعمدت أن أقضي معظم الأوقات خارج المنزل، قررت أن أعتني بنفسي و باهتماماتي، لن أترك الأيام تمر من تحت أقدامي و أنا أفقدها هباءً دون أن أفعل ما يجعلني أفضل، أطلب من الله أن يُديم لي تلك الحالة الإيجابية التي أمر بها الآن. -
إستغرب الأمر بالطبع و تساءل مع علاقة مثل هذه الأوراق بعمر و بالقضية أصلاً، و الأهم من هذا هل يسأله عنها أم يتصرف بشكل طبيعي و كأنه لم يري شيء، و لكنه رأي و من الممكن أن .ما حدث كان سبباً لكي يتدخل ليساعد عمر إن كان بحاجةٍ لذلك

* * * * * *

فُتح الباب و كان الطارق هو طارق أبو النجا، كانت هي المرة الثانية التي يراه فيها عمر بعد أن رآه في مكتب ضياء عرفة، كان مرتدياً بذلة كحلي زاهية و قميص أبيض مشرق، تُعانق يُسراه

ساعة يد لامعة تبوح بوضوح عن ثمنها.
إصطنع عمر أنه يُقلب في هاتفه بينما دخل طارق سريع الخطي بعد أن تغيرت تعبيرات وجهه قليلاً عندما رأي عمر، وقف أمامه و نظر للخلف لمدام مريم يسألها بالإشارة من هذا ؟!
أجابت هي في حرج قائلة:
- دة الأستاذ عمر المحامي
أردف بسخرية خفية قائلاً:
- أهلاً يا متر، و الله أنا قلت لضياء بيه قولي اللي انت محتاجه و أنا هجيبهولك بدل ما كل شوية يبعت محامي طالع و محامي نازل، شكلها مش حلو و تضييع وقت ع الفاضي، قالها و هو يرتمي بجسده علي الكرسي المقابل لعمر.
إندهش عمر و أغضبته تلك الكلمات، لم يتحدث بشيء و كأن الحرج الذي تملكه لم يترك له كلمات يبوح بها، قام من كرسيه و اتجه ناحية مدام مريم التي كانت واقفة مُمسكة بالملف فطلبه منها و اتجه مسرعاً ناحية الباب و علي وجهه ابتسامة صفراء إحتفظ بها لثوانٍ معدودة، و فور خروجه من الشقة تحولت هذه الإبتسامة إلي غضبٍ شديدٍ و إحساس بالدُنيّة انتابه فكان من أسوأ المواقف التي تعرض لها في حياته، فهو لم يشعر بهذا الغضب من قبل، لم يواجه أحداً ينظر له بتعالي و يُحدثه من قمة الغرور، لم يكن يعلم التصرف الصحيح حينها، هل كان من

المفترض أن يبادله حديثاً في المقابل أم يكتفي بالصمت كما فعل، خرج من المبني و هو يسير مسرعاً متجهاً ناحية الكورنيش و لكنه سمع صوتاً رقيقاً يناديه من خلفه بنبرةٍ كان يألفها و وقعها علي أُذنيه لم يكن الأول.

* * * * * *

أفكارها بدأت تضطرب و ثقتها في نفسها بدأت تهتز . . تشعر بأن الفشل قادم لا محالة و أن كل شيءٍ سينتهي . . إسمها اللامع أخذ ينطفيء و فقدت الكثير من الحماس الذي كان يميزها عن غيرها.

دارين منذ أن كانت طالبة بالكلية و هي متفوقة دائماً علي زملائها، شخصية نابغة تسلك دائماً الطريق الصحيح، أي مشكلة كانت تواجهها كانت تجد لها الحلول بعبقرية و تنهي الأزمة، أما الآن هي أمام معضلة كبيرة تشعر بالعجز حيالها، هي اعتادت أن تكون دائماً في المرتبة الأولي في كل شيء، لا تقبل بالمركز الثاني إطلاقاً و هذا ما يزيد من الضغوط النفسية التي ألمّت بها، من السهل أن تعتذر عن استكمال العمل علي هذه القضية و تتركها ليتولاها زميل آخر، و لكنها تجد ذلك أمراً مستحيلاً و تعتبره إخفاق و فشل لن تقبله، خصوصاً و أن تلك القضية لها قراء و متابعين فكان من العسير أن تتركها، و لكنها أحياناً تُحدث نفسها بأن ليس بالإمكان سوي ما كان، فالقضية معقدة فعلاً و تفاصيلها

تسير ببطء و لا يمكن أن يُكتب سوي ما يستحق أن يُقرأ، فكان بإمكانها أن تملأ المربع في الجريدة بحشو و كلام سطحي لا يجدي بأي شيء، و لكنها تحترم القاريء قبل كل شيء فكانت رقيبة علي كلماتها قبل غيرها.
أثناء تفكيرها جال بخاطرها تلك المحامية غزيرة التصريحات في هذه الفترة و التي تُدعي -رانيا جودة-، فمن الممكن أن تُجري معها حواراً صحافياً يُعيد لإسمها البريق من جديد.

* * * * * *

إزدادت ضربات قلبه و هو يُدير رأسه للخلف ليري من يناديه و هو يعرفها جيداً . . كانت مشرقة كما هي و عينيها كانت تحمل حزن و شفقة لم يكن يريد أن يراهم في عيون أحدٍ من قبل . . تماسك و أبدي وجهاً صامداً يُعرف به الرجال و قال في حزم:
- نعم، أي خدمة ؟
أردفت في قلق قائلة:
- هو انت فاكرني؟
شعر بالخجل و ألقي بنظره لأسفل و هو يقول:
- أيوة فاكرك.
- أنا حبيت أعتذر لك عن تصرفي السخيف يومها، أنا فعلاً اليوم دة مكنتش عارفة أنا بقول إيه و . .
قاطعها بنفس النبرة الهادئة قائلاً:

- لأ عادي حصل خير، و لو دة السبب اللي خلاكي تنزلي من البيت فاعتبري اعتذارك مقبول.
إبتسمت فاستكمل مازحاً:
- و بعدين انتي لسة فاكرة.
إتسعت ابتسامتها لضحكة صغيرة فرسمت علي وجهها منظراً كان بحاجةٍ لأن يراه، و قالت في هدوء:
- أنا مضطرة أرجع بقي . . مع السلامة.
أرسل لها بيده وداعاً اصطحبته بعض نسمات الهواء التي كانت عابرة.

* * * * * *

- ألو، أستاذة رانيا جودة
- أيوة مين معايا ؟
- مع حضرتك دارين رياض، صحافية في جريدة الغد.
- أهلاً وسهلاً، أي خدمة ؟
- لو ينفع أقابلك في مكتبك، عندي أسئلة بخصوص القضية .
- حاضر، هخلي السكرتيرة تحدد لك ميعاد . .

* * * * * *

بدأت عينيه تغلق جفونها رويداً رويداً، يبدو و كأن مفعول القهوة لم يجدي نفعاً معه، كراسي القهوة بدأت تفرغ من زبائنها و بدأ

الهدوء يسود بالتزامن مع اقتراب منتصف الليل، كان -القهوجي- واقفاً مستنداً بكتفه الأيمن علي أحد الأبواب و يدقق النظر بعيونٍ لا تتحرك في زاويةٍ ما و علي وجهه الشاحب علامات الإرهاق و الحزن، وقع نظره عليه في نفس اللحظة التي قالت فيها الست:

- و عايزنا نرجع زي زمان . . قول للزمان إرجع يا زمان. -

كان مشهداً يستحق أن يرسم، أو ربما لم يكن دراميأً لهذه الدرجة و كان عادياً جداً، و لكنه حاول أن يجعل من جِلسته شيئاً مسلياً بعد أن رحل الزبائن و لم يتبقي سوي -القهوجي-.

أغلق الأغاني و اتخذ قرار النوم في اللحظة التي سمع فيها جرس الباب يُعلن وصول عمر.

* * * * * *

- نور . . نور إنتي سمعاني ؟

إنتبهت من غفلتها و هي تقول:

- أيوة يا مراد أنا معاك.

معايا إيه . . و إيه حكاية الملف اللي حاطة عينيك فيه دة ليل نهار، دة انتي شكلك ولا العيال الدحيحة في الإمتحانات، قالها مازحاً.

ردت بابتسامة قائلة:

- مش عارفة يا مراد، الرواية دي من ساعة ما جت لي و أنا حاسة إن الأحداث مش غريبة عني زي ما يكون قريتها قبل كدة بس

مش فاكرة، و الغريب إن صاحب الرواية مبيبعتليش يزن زي ما الباقي بيعملوا.
- طب و هو ينفع الرواية دي تعطلك عن جوزك حبيبك اللي سايباه دة من غير غدا.
أطلقت ضحكة مرتفعة و هي تقول:
- لأ طبعاً . . هحضرلك الغدا ياعم الزنان.

* * * * * *

- هتقعد معايا شوية ولا هتدخل تنام ؟
- أنام إيه يابني دة أنا قاعد مستنيك كل دة تقولي هنام، قالها و هو يتثاءب.
- أحكيلك من الأول للآخر زي ما بتعمل مع الزباين ولا اتكلم عادي ؟
- إحكي زي مانت عايز.
- بص يا خالو، أنا من ساعة حوار القضية دة ما دخل حياتي و أنا دماغي مقلوبة، حاسس إن فيه عبء زيادة عليا مع إن المفروض دة العادي، أو يمكن عشان القضية كبيرة و أنا خايف معملش حاجة فيها.
أردف خاله قائلاً:
- دة أمر طبيعي يا عمر، أنت لو بتتوكل في قضايا طول حياتك هتيجي عند قضية زي دي و لازم تقلق و تخاف و دماغك تتقلب.

- لأ يا خالو مش دي الفكرة، أنا مش خايف، أنا حاسس إني قليل، أنت عارف النهاردة و انا في بيت شريف رضوان دخل شريكه دة اللي اسمه طارق أبو النجا، تقريباً طردني بالذوق، عارف يا خالو كان بيبصلي من فوق أوي . . حسيت فعلاً إن أنا ولا حاجة . . مقدرتش أرد عليه و مكنتش عارف المفروض أعمل إيه . . خدت بعضي و مشيت و انا من جوايا بغلي و مقهور، هو أنا قليل يا خالو؟

بدا عليه التأثر و هو يقول:

- لأ يا حبيبي إنت مش قليل . . إنت قوي أوي يا عمر و الدليل إنك مردتش عليه، تحكمك في إنفعالك في وقت ما كنت متعصب دة يبدل علي إنك شخص قوي مش العكس أبداً.

عاد بظهره إلي الوراء و أراح جسده كاملاً و قال:

- فاكر البنت اللي كنت حكيتلك عنها من فترة ؟ اللي هي هزقتني ع الكورنيش دي.

ضحك خاله و هو يهز رأسه بالإيجاب، فاستكمل عمر و هو مبتسم:

- قابلتها النهاردة بعد ما نزلت، أو هي اللي قابلتني . . أنا لقيت حد من ورايا بينده عليا ببص لقيتها هي، كانت بتعتذر لي عن اللي عملته معايا . . بس عارف يا خالو . . شكلها المرة دي كان أحلي من المرة اللي فاتت بكتير، ملامحها بسيطة و عينيها كانت

بتلمع طول ماهي بتكلمني، كنت واقف بيني و بينها مترين زي العيال الحبيبة بتوع إبتدائي و هما مكسوفين من بعض، الدقيقتين دول هما اللي خرجوني من الحالة اللي كنت فيها، تفتكر ممكن أشوفها تاني ؟

- هتشوفها إزاي و انتوا مفيش أي وسيلة تواصل بينكم، بس استني هنا إنت عايز تشوفها تاني ليه؟ قالها بتهكم و هو يبتسم ابتسامته المعهودة.

أجاب عمر في ارتباك قائلاً:

- عادي يعني، أنا فاكر إني في الدقيقتين دول كنت من جوايا مبسوط، و أنا بحب دايماً أكون مبسوط.

- إنت عارف فكرتني بنفسي زمان، أول ما دخلت الكلية كانت فيه بنت الدفعة كلها هتموت عليها كان اسمها نيرمين، و في يوم شجعت نفسي و قررت اروح أكلمها، أول ما شفتها جريت عليها و قلتلها يا نيرمين ممكن نكون صحاب؟ قالتلي ليه؟ قلت لها عشان بحب اشوفك و لما بشوفك بكون مبسوط، قالتلي انت بتربط سعادتك بأشخاص و انا مش بحب صحابي يكونوا كدة، و سابتني و مشيت، كان شكلي فضيحة و قعدت إسبوع مش بروح الكلية لحد ما الموضوع إتنسي و الدنيا مشيت.

نظر له عمر بدهشة و هو يقول:

- مش فاهم إيه العلاقة، بس يالا بالشفا يا خالو.

قاطعه بنبرة مرتفعة قليلاً:

- مش فاهم إيه يا بجم، عايز أقولك مترابطش سعادتك بحد عشان متتصدمش قدام و تلبس في الحيط زيي.

- و انت مين قالك إن نيرمين بتاعتك دي كانت صح، ماحنا مش عايشين لوحدنا، فيها إيه لما يكون فيه حد بيفرحنا و بيشاركنا حياتنا، طب بيني و بينك كدة، إنت ليه متجوزتش ؟

أردف بضحكةٍ صاخبة:

- عشان نيرمين اتخطبت، قالها و هو يقوم من جلسته مصطحباً معه عمر للداخل و ضحكاتهم المتبادلة تغلف الأجواء الباردة مع اقتراب الفجر بشيءٍ من الدفء.

* * * * * *

-١ ديسمبر ٢٠٠٤ . .

اليوم مر طبيعياً جداً . . لم أشعر بالضيق أو الفرح، و لكن وقعت عيني صدفةً علي بعض الصور القديمة التي كانت راقدةً في مكانٍ ما في غرفتي، جلست أتأملهم واحدةً تلو الأخري، إبتسامتي لم تفارق وجهي حينها، كانت هناك صورةً لي بصحبة والدتي و والدي و بعض جيراننا و أبنائهم الذين تركوا منزلهم منذ سنين، كنت في عقدي الأول، و كان أبي ممسكاً بيدي و كنت أحتضن بيدي الأخري إحدي صديقاتي التي كانت في عمري تقريباً، كانت

السعادة مستشرية في وجهي، الصورة كانت في إحدي الحدائق و كانت كالصور القديمة يغلب عليها اللون البني المتأرجح بين درجاته الداكنة و الفاتحة، كانت تتملكني تلك الإبتسامة التي تبدو ضحكاً و لكنها حزناً علي الأيام الجميلة التي مضت، كم أشتاق إلي ما كنت أنا عليه في ذلك الوقت، أذكر جيداً أنني كنت أستيقظ في أيام الإجازة مبكراً و أذهب لأمي التي تُعد لي الإفطار و تعرض لي بعض شرائط الفيديو التي تحوي أفلاماً للأطفال و تعود هي لتُكمل نومها، كانت هموم حياتي وقتها تتركز في خوفي من أن ينتهي الفيلم و لا يبقي للأبد، و لكن الفيلم انتهي سريعاً، و أصبحت أنظر لشخصياته علي أنها ساذجة و سخيفة بعد أن كنت أري في تفاصيلها مُتعتي الأبدية، أذكر أيضاً عندما كنت أجلس بجانب أمي و هي تتابع أحد المسلسلات العظيمة التي كان يرسم موسيقاها عمر خيرت لتبقي هذه الموسيقي باباً من أبواب النوستالجيا التي تأتيني دون أن أدري، أشعر بدموعي الآن و قد بدأت قطراتها تروي جفاف أوراقي، و لكني سأتوقف، أريد فقط أن أوجه رسالة لصغيرتي التي كانت هي أنا في يومٍ من الأيام : أفتقدك كثيراً، لو كنت أعرف أنني بمرور السنين سأكون هكذا لما تمنيت أن يمر العمر بي أبداً و أتركك يا ليلي وحيدةً في هذه الحقبة الجميلة، أتمني من كل قلبي أن أعود إليكي يوماً واحداً، أنصحك أن تطلبي من الله ألا ينتهي فيلم طفولتك أبداً حتي لا تتغيري و تظلي أنتي و لا أحد غيرك. -

-A Good Life is a collection of happy memories- .

- Denis Waitley

الفصل السادس

بعد أن انتهي من الحديث مع خاله، دخل غرفته بدل ملابسه و ارتمي بجسده علي فراشه البارد، كان يومه مليئاً بالأحداث و التفاصيل لذلك كان النوم أمراً ليس باليسير، رفع رأسه لأعلي و أراحها علي ذراعه الموضوعة خلفها و المستندة علي ظهر الفراش.
بدأت الأفكار تنساب واحدة تلو الأخري و أخذ يفكر، لم يكن سعيداً بهذه الدرجة كما أخبر خاله، الموقف كان لطيفاً و لكنه لم ينسي الموقف السابق له و الذي كان قبيحاً، أحياناً يُحدث نفسه أنه كان من المفترض ألا يقبل اعتذارها الضعيف هذا، لم يكن من المفترض أن يكون جمالها مؤثراً عليه لهذه الدرجة التي تجعله يتنازل عن حقه بمنتهي السهولة، ربما كان يحتاج لأن يكون حازماً أكثر مما كان، و لكنه لا يلبث حتي يتحدث بالعكس، الموقف لم يكن بشعاً لهذه الدرجة، فهو لم يكن يعرف ما الذي مرت به تلك الفتاه و بالتالي كان من المفترض أن يقدر ظروفها أكثر من هذا، فمن أنت لتترك بيتها و تجري وراءك لتخبرك كلمات أنت كنت بحاجةٍ إليها و تتمناها و عندما سمعتها و حصلت عليها إنبري

موقفك و أخذت تتعامل مع الأمور باعتيادية أنت لم تعتادها، لقد كنت نسيت كل شيء أصلاً و كانت حياتك تسير بلا مشاكل، فهل هذا هو موقفك عندما أراد القدر أن يُضفي شيئاً جميلاً علي واقعك البائس؟ لقد تغاضيت عن ما يستحق أن تحزن لأجله حقاً، لقد تركت الرجل الذي أسقطك بكلماته و احتقرك بطريقته و أنت وقفت أمامه لا تقوي علي أن تفصح بشيء و لم تحرك ساكناً و لو عاد بك الزمن لم تكن لتفعل شيئاً و كنت ستقف جباناً تاركاً قلبك يحترق و نفسك تُقهر و أنت تستمع لكلمات صدمتك لأنها كشفت لك نفسك من قِبل غيرك، تترك كل هذا و تتوقف فقط عند تلك الفتاه المسكينة و تقيم لها المحاكم و تنصب الدواوين، ألم يشفع لها اعتذارها و هي تنحني أمامك بعينها اللامعة ؟ ألم تري وجهها كيف كان نضراً ؟ كيف كانت مُهذبة و هادئة كالوردة التي خشيت أشعة الشمس عندما تفتحت أوراقها لأول مرة ؟ كان عمر حائراً حقاً من كل شيء، لم يعرف ما الذي يحتاجه و ما الذي ينقصه، الأفكار لا تزال تؤرقه و أيامه المقبلة لا تزال مُبهمة.

* * * * * *

صباح اليوم التالي . .

كانت مترددة، دقات قلبها متسارعة و هي تحمل الحوار الذي أجرته مع رانيا جودة صباحاً، هذا الحوار سيكون هو المحطة

التي أعادتها إلي مكانتها الطبيعية أو سيكون تأكيداً لفشلها و انهزامها في هذه القضية.
دخلت مكتب رئيس التحرير و لصقت ابتسامة علي و جهها و هي تقول:
- صباح الخير يا فندم، جبت لك معايا حاجة كويسة.
دون أن يُطالعها أردف و هو ينظر لأوراق أمامه قائلاً:
- خير يا دارين، جايبة معاكي إيه ؟
- حوار مع المحامية رانيا جودة.
نظر إليها و علي وجهه علامات الرضا و قال و هو يهز رأسه:
- رانيا جودة ! كويس أوي الكلام دة، يظهر إن كلامي معاكي جاب نتيجة و بدأتي ترجعي تشتغلي زي زمان.
إبتسمت و انسابت علامات الإرتياح علي وجهها و أردفت:
- ربنا يوفقني يا فندم و اكون عند حسن ظن حضرتك.
إستدارت و هي تبتسم ابتسامة ذات معني، ليس لأنها أجرت حواراً صحافياً و نال الإعجاب و إنما لعودة إسمها لبريقه الذي انطفأ لفترة و لكنها أثبتت جدارتها كعادتها مرةً أخري.

* * * * * *

إستيقظت مبكراً علي غير عادتها، لم تنم سوي بضع ساعات قليلة و لكنها لم تجد رغبة في النوم، قامت من فراشها و وقفت أمام المرآه المواجهة للسرير مباشرةً، أخذت تنظر و تتأمل وجهها

المشرق الذي لم تؤثر عليه أية مشاكل أو ضغوط، ليلي كانت جميلة حقاً، ملامحها هادئة إلي أبعد الحدود، تتمتع بشعر بني يشبه سلاسل الذهب التي لا تنطفيء لمعاناً و لا تنقص زهوةً، عينيها خضراء هادئة و في الوقت ذاته جاذبة، أنفها صغير و يبرز علي جانبي ثغرها طابعي حسن يزيدان اللوحة ألواناً.

لم تعرف ما عليها أن تفعله، كلما زادت مدة ابتعادها عن الكلية كلما كان من الصعب عليها الذهاب مجدداً، تشعر و كأن كل الأماكن التي كانت تتردد عليها أصبحت غير مألوفة بالنسبة لها، و لكن إقامتها في المنزل طوال هذه المدة أردت في نفسها الملل و كانت تريد أن تخرج من هذه الغرفة الكئيبة قليلاً تفعل ما كانت تفعله أو ما لم تكن تفعله و تمنت أن تفعله.

* * * * * *

قضي عمر فترة بعيداً عن كل شيء، لم يذهب للمكتب إلا قليلاً، فمنذ ما حدث في منزل شريف رضوان شعر و أن هناك شيئاً بداخله قد تغير، فكر كثيراً أن يبتعد عن كل هذا و يعود كما كان لحياته التي كان يتلذذ بها بدون أية ضغوط و لكن شيئاً ما يوقفه عن تفكيره و يدفعه لاستكمال الطريق حتي النهاية.

مشكلة عمر أنه لم يدرك بعد ما أصبح فيه، و ربما كان كل ما يشعر به من ضيق و ضغوط كان بسبب عدم إدراكه الكامل لوضعه الحالي، فهو لم يذهب من قبل لمنزل أي موكل و يحضر

ملفات و يخزن أوراق ، كل هذا كان حديث العهد بالنسبة له، ربما كان تصرف طارق معه ليس بالقبيح إلي هذه الدرجة، و لكن عمر استقبله هكذا لأنه لم يعتاد علي مثل هذه المواقف من قبل، و لكن حتماً سيأتي يوماً ما يعتاد فيه عمر علي كل هذه الصعوبات، فهو كان يحتاج أن يعي جيداً أن الحياة ما هي إلا وعاء ممتليء بكل أنواع الطعام التي تكرهها و عليك أن تواجه كل ما تمقته حتي تستطيع المواصلة للنهاية.

* * * * * *

كان بمجرد دخوله أي مكان يقيم له الجميع اعتباره و تقديره، فشكله كان ينم عن هؤلاء الذين يحترمهم المجتمع البائس الذي يري في المظهر كل شيء و أي شيء، المضمون بالنسبة لهم عدم، لا يهم إن كنت سارقاً أو محتالاً أو فاسداً، و لكن المهم هو نوع السيارة التي تملكها و مكان المنزل الذي تسكنه و ملابسك الفارهة التي ترتديها، تلك هي المعادلة التي إذا حققتها ستنعم بالتحية و الإبتسامات المجاملة في كل مكان.

كان هذه المرة في زيارة لشريف رضوان، زيارة أصبحت روتينية يقوم بها من حينٍ إلي آخر في ساعات فراغه الصباحية التي تتسني له أحياناً، كان شريف رضوان جالساً مدققاً نظره في زاوية بعيدة بالقدر الذي يعيقه عن رؤية طارق و هو قادم نحوه، لاحظ طارق بعض التغيرات التي باتت جلية أمام عينه، ذقن شريف

رضوان بدأت تأخذ شكلاً لم يسبق لها أن كانت عليه من قبل، كذلك شعره بات غير مهذباً علي الإطلاق، وجهه أيضاً لم يعد بخير فخسارته الكثير من وزنه جعلت ملامح وجهه غريبة، فعظام وجهه أصبحت بارزة خاصةً تلك العظمتين البارزتين في ارتكاز علي الخدين، حالته النفسية أصبحت يرثي لها.

دخل عليه طارق مداعباً كعادته في تلك الزيارات و هو يقول:

- إزيك يا شريف بيه . . إيه الحلاوة دي.

حرك رأسه ناحيته ببطء و أردف باقتضاب و هو يلتقط بعض الأنفاس من السيجارة التي تعانق أصابعه قائلاً:

- أهلاً يا طارق . . مفيش جديد ؟

- طبعاً فيه، الجلسة الأولي إتأجلت شهرين، قالها و هو يخشي غضبه الذي عهده في هذه النوعية من الأخبار، و لكنه تفاجأ برد فعله، فلم يبدو علي وجهه أي تغيراً و كأنه لم يسمع شيئاً مما يدفع طارق لاستكمال الحديث قائلاً:

- مالك يا شريف شكلك متغير.

- مفيش يا طارق شكلي اتعودت ع المرمطة فا مبقتش تفرق معايا شهر ولا اتنين إن شا لله تتأجل سنة، قالها و هو يرمي السيجارة بعيداً ثم استطرد . . أخبار مريم و ليلي إيه ؟

- كله تمام متقلقش.

ألقي عليه طارق وداعه الذي لم يهتز له و اتجه للرحيل، طارق

لم يكن يألفه هكذا من قبل فكان الأمر مريباً بالنسبة له، شريف رضوان كان رمزاً للتأنق و جسداً تملؤه مظاهر الحياة، كان معروفاً بأناقته و ملابسه التي يُحضر أغلبها من باريس، و السيارات الألمانية التي كان يملكها، لم تكن الإبتسامة تفارق وجهه، فكان ثغره يظل مبتسماً بين الضحكة و الأخري، فكان نموذجاً للشخص العاشق للحياة، أما هذا الهيكل العظمي القابع في مجلسه ليس شريف رضوان، حتماً هو شخصٌ آخر.

* * * * * *

كان جالساً في المنزل وحيداً بعد أن اتجه خاله للعمل صباحاً، لم يجد ما يفعله، كان يقف في الشرفة بضعة دقائق يراقب المارة و أصحاب المحال بأصواتهم العالية و هم يلقون السلام علي بعضهم البعض، إتجه لمكتبة خاله ليطالع بعض الكتب فوجد فحواها مراجع طبية نفسية معقدة لا يطالعها سوي متخصص أو مولع بالمجال و هو لم يكن هذا ولا ذاك، قادته قدميه إلي غرفته المظلمة حيث ترقد تلك الأوراق التي حصل عليها بمحض الصدفة التي استمال لها قلبه، ذهب للملف ذاته و وجد الورقة الأولي تحمل تاريخاً غير ما كانت عليه آخر مرة قام بالقراءة، لم يهتم ربما جاءت بعض نسمات الهواء القوية التي بعثرت بعض الأوراق، لذلك قرر أن يقرأ بشكل عشوائي و بدون ترتيب و بدأ في القراءة. .

- يناير ٢٠٠٠ . .

لا أعرف إن كان ما يدور برأسي يستحق التدوين أم لا، و لكنني أحب هذه الورقة و أعشق قلمها، فأردت أن أشاركها حالتي الساحرة التي أنا بها الآن، اليوم تحدثت إلي أحد زملائي في الكلية، كان نفس دفعتي و لم ألحظه من قبل، لا أذكر السبب الذي وضعنا في موقف الحديث حقيقةً لأنني كنت مرتبكة و متوترة جداً، لم أتعرض لمثل هذه المواقف من قبل، كنت أري تلك المشاهد في المسلسلات أواخر التسعينات و كنت أراها سخيفة و سطحية و بعيدة عن الواقع كل البعد، و لكنني اكتشفت أن الأجواء لطيفة نسبياً . . لا . . الأجواء كانت لطيفةً جداً، كنا برفقة مجموعة من الأصدقاء المشتركين بيننا و لكنه كان يحادثني كثيراً عن قصد و كانت أعيننا تعترض بعضها و هي تتجول بالنظر حولها فتأتي لحظة يتوقف عندها كل شيء عندما تتلاقي العيون اللامعة و ننصرف كلانا عن النظر بسرعة، هو جزء من الثانية يبقي كما هو لا يطول و لا يقصر، و بالرغم من هذا فإنه يظل عالقاً في الأذهان فترات، لا أريد أن أطيل، أردت فقط أن أدون شعوري الحالم بتلك اللحظات التي قضيتها برفقة أصدقائي و صديقهم هذا الذي يدعي عاصم، أظن أن الأمطار التي تساقطت علينا أثناء ما كنا نسير قد أضفت علي اليوم كل جميل و ملأت نقص كل ما لم يكن

كاملاً، سأخلد للنوم الآن و أنا علي يقين أن هناك أحلاماً سعيدة بانتظاري. -

كانت هناك ابتسامةً عريضة ارتسمت علي وجهه، ربما لأن الكلام قد أثر فيه كثيراً و هذا و إن دل فإنه يدل علي صدقها و صدق ما كانت تشعر به فانتقل من القلب للقلب دون مجهود أو تكلف، أو ربما هو قد تأثر لأنها ذكرته بأيام الكلية عندما كان بسيطاً جداً فاقتربت بساطته قليلاً من السذاجة، لم يكن اجتماعياً علي الإطلاق كان يذهب و يعود دون رفيق، لم يستطع أن يحدد السبب من هذا، هل لأنه إنطوائي نوعاً ما ؟ أم لأن الجميع لا يلائمونه كأصدقاء ؟

و لكن موقفه هذا كان له عدة مزايا من أهمها أنه منحه مساحة لمراقبة الجميع و هم منشغلون في رفاهية لا تتسني إلا لمن هم مثله، و في يومٍ ما عندما كان جالساً في محاضرة الثامنة صباحاً و عيناه لا تزال تحاول أن تفيق و جسده يستعيد قواه من جديد، لمح فتاة أمامه تقوم من جلستها لتترك لزميلتها مكاناً بداخل المقعد العريض، لم يظهر منها سوي نصف وجهها، أو ربما هو رآه هو فقط بسبب عيناه الغافلة، لسببٍ ما أو لآخر خطفت قلبه، شغلته من نصف نظرة لم تكن موجهةً له.

كانت جميلة تجمع في وجهها بين صفات البيضاء و السمراء، كان أنفها صغير و محدد و عيناها بُنية تظلل عليها رموش سوداء

طويلة فكانت تشبه عيونها حبة اللوز، كانت ترتدي ثوباً لونه كحلي تصطف بداخله بعض الخطوط البيضاء العمودية، و غطاء رأس أحمر داكن أثري وجهها إشراقاً، فضلاً عن الحسنة التي توسطت نصف وجهها الذي بدا له فكانت تفاصيلها كافية لأن تلهمه و تشغله لأيام.

مرت الأيام و هو يراقبها عن بعد، كان يراقب تفاصيلها بدقة، كان يذهب للكلية حتي يراها، لاحظته كثيراً و هو يرمقها من بعيد و لكنها كانت خجولة جداً فلم تمنحه ما تمني من نظرة عابثة للحظات يشبع بها ليلته، ظاهرياً لم تكن جميلة لهذه الدرجة و لكنها كانت جذابة و مرحة، تملأ وجهها دائماً ابتسامة جميلة، و في يومٍ ما عندما كانت رياح الشتاء الباردة تعبث بكل شيء و لم يكن هناك الكثيرون حوله رآها من بعيد تلتقط بعض الصور مع صديقاتها اللاتي انطفئن بجانبها و لم يبد منهما سوي ظلال، كانت ترتدي ملابس شتوية ثقيلة و وشاح أسود كان ملتف حول رقبتها فكانت مشرقة أكثر من أي وقتٍ مضي، عندها وجد قدماه تتجه إلي حيث ما تمنت أن تذهب، وقف أمامها مباشرةً و حدثها بما كان يمليه عليه قلبه بصدق، كان حديثه صادقاً فكانت كلماته حاضرة، لبقاً لدرجة لم يرها في نفسه من قبل، أما هي فلمعت عيونها التي تكحلت بارزةً و احمرت وجنتاها حياءً، كانت تستمع لكلماته بإنصات غير كامل و كأن حواسها كانت مكتفية بهيبة

الموقف الذي كان غير مرتب فترفعت عن كل ما أتاها لاحقاً.
عندما انتهي من حديثه إليها لم ينتظر منها رداً فرحل مسرعاً و هو لا يصدق كيف تملكته الجرأة و دفعته الشجاعة لهذه الخطوة العفوية، و لكنه من ناحيةٍ أخري كان سعيداً جداً لما رآه علي وجهها من ملامح سعادة لم تستطع أن تخفيها لأنها كانت صادرة عن قلب امتلأ من السعادة عن آخره فما كان ظاهراً إلا من باطن استحال أن يظل كامناً.
توالت الأيام و كان عندما يراها صدفةً و تلوح له بيدها يشعر بأن الحياة قد قررت أن ترضيه، ثم جاءت لحظات عندما كان يقابلها و يتحدثان قليلاً في أمور الكلية و المحاضرات، و يوم وراء يوم كانت تلهمه، كانت رقيقة جداً، تتحدث بصوتٍ خافت و عندما تأتي مزحة ما في منتصف الحديث تظهر ابتسامتها التي تبرز طابعي الحسن و تتسع عيناها في شغف ليدرك ما لم يكن يدركه من جمال، يذكر أنها أخبرته ذات مرة أن هناك مادة دراسية لم تكن تستوعبها و كانت تري الكتاب بالغ التعقيد فما كان منه إلا ليالٍ قضاها جالساً يكتب لها الملخصات بيديه التي امتلأتا حناناً فلم يكن يمل أو يشعر بالإرهاق، و عندما قدم لها ما صنعت يديه أشرق وجهها و كانت كالقمر لا تمل من النظر لضياءه.
كان أحياناً يستكمل حديثه معها عندما يعود لمنزله إذا طال

حتي أصبح حديثهم الليلي شيئاً إعتيادياً، فكان منتصف الليل ميعاداً ثابتاً لم يحدده أحدهما، تلك الفترة كانت من أجمل فترات حياته، كل ليلة كان ينام و علي وجهه ابتسامة راضية عن ما منحته الحياه و يستيقظ في انتظار حديثهم الجديد كالطفل، كان يقضي يومه أحياناً مفكراً في الموضوعات التي ستكون محل نقاشهما حتي لا يتوقف الحديث أو يكون مملاً، كان حريصاً علي استمرار الوصال و علي ألا ينقطع، و لكن حرصه هذا كان من ناحيته هو فقط، و مع مرور الأيام بدأ المؤشر يهبط عندما بلغ من الإرتفاع قمته، لم يعرف السبب وراء هذا، بدأت تبتعد عنه شيئاً فشيئاً، حديثهما لم يعد يومي و لم يكن يراها كثيراً كأنها لم تكن تذهب للكلية متحاشيةً ألا يراها، بدأ الإحباط يزحف إليه و أخذت تتملكه الظنون، إزداد الموقف تطوراً فأصبح حديثهما نادراً و في أضيق الحدود، لم يعلم السبب حقيقةً وراء ذلك و لم يسأل عنه، كان حزيناً علي نفسه و علي الليالي الساحرة التي كان يقضيها و كأن الحياة لم تجده جديراً بتلك الآمال التي ما تحقق منها إلا أنصافها، رآها عدة مرات بعد ذلك و لكنه كان متعمداً ألا ينظر إليها فكانت تغلبه عيناه أحياناً و تخطف نظرة خلسةً لتشبع بها حواسه، مرت الأيام و الإعتياد أصبح علي عكس ما كان اعتاده فاستسلم للواقع مودعاً روحاً جميلة رحلت عن حياته بعد أن تركت بها أثراً و ذكريات لم ينساها.

عاد لحاضره أخيراً بعد رحلة حالمة للذكريات، قام ليسمع أغنية لفيروز كانت عالقة بذهنه في تلك الفترة و أصبحت مرتبطة بها، حتي أنه عندما يستمع إليها في أي وقت تأتيه الأحداث متوالية، قام بتشغيل الأغنية و التف ليجلس و هو يقول: الله يسامحك يا اسمك إيه، و من خلفه تُبدع فيروز:

زعلي طول أنا وياك و سنين بقيت

جرب فيهن أنا أنساك ما قدرت نسيت . .

* * * * * *

خرجت إلي حيث لا تعلم علي عكس ما اعتادت، نسمات الهواء كانت تأتي باردة في يناير، تلك الفترة هي الأفضل في السنة، و الإستيقاظ مبكراً بالرغم من صعوبته إلا أنه جميل، خاصةً عندما تكون الطرقات باردة لتضفي علي المارة راحة نفسية و مزاجٍ صافي لا يعتريه قلق، كانت ترتدي ملابس عادية جداً و تركت وجهها بسيطاً كما هو، لم تعد تهتم بمظهرها الخارجي إطلاقاً بعد أن كان أحد أهم الأشياء بالنسبة لها، أصبحت زاهدة في كل ما هو خارجي و صارت تقدر كل ما هو داخلي، أحياناً تأتينا الحياة بأزمات صعبة كثيرة متوالية و نعيش فيما أشبه بالمعاناه، ربما هذا الإبتلاء غرضه التغيير، أن ندرك أشياء كانت تعنينا و لا ينبغي لها أن تكون كذلك و أشياء أخري أصبحت تعنينا بعد أن كنا نغض الطرف عنها، ليلي بدأت تستشعر إيجابيات المحنة التي مرت

بها، أصبحت تدرك تحولات كبيرة في شخصيتها لم تكن تتخيل أنها ستحدث يوماً، مندهشة كثيراً من أنها علي قيد الحياة بدون مقابلة أشخاص و بدون أحاديث كثيرة، و بالرغم من أن هذا شيء ضروري للحياة و التفاعل مع ما يحيط بنا أمر لابد منه فإنها أصبحت تعتاد الوحدة و تتعايش معها كشيء روتيني، إستطاعت أن تتجاهل محاولات بعض المقربين للوصول إليها، وصلت إلي حالة متقدمة من التصالح مع النفس الغير مشروط، لم يعد يعنيها أي شيء، كانت تسير و تستمع لمقطوعة بيانو هادئة و هي تشم النسائم التي تُثرينا بالشتاء، تأتي اللحظة التي يبدع فيها بيتهوفن في مقطوعته فتطرب لها أذنها فتبتسم، تقضي الساعات سيراً لتجد نفسها في مكاناً لا تعرفه، تضحك علي سذاجتها و تعود مواصلة سيرها حتي تعود للمنزل في ارتياح و سكينة باتت بحاجة إليهما من حينٍ إلي آخر.

كان واقفاً في مكتبه أمام نافذة زجاجية كبيرة تُتيح له رؤية القاهرة رؤيةً جلية، منذ أن عاد من زيارته الأخيرة لشريف رضوان و هو غير منضبط نفسياً، فهو من ناحية يشعر بالحزن و الأسي تجاه صديقه الذي غدرت به الأيام و ألقت به إلي حيث ما لم يكن يتخيل، و من ناحيةٍ أخري يخشي علي نفسه من أن يخبيء له القدر مصيراً مشابهاً، أن يجد نفسه في واقع مغايرٍ لما هو عليه بين ليلة و ضحاها، أن يجد نفسه نائماً علي فراش خشن و هزيل بعد

أن كان يرقد في أحضان الوسائد الناعمة، الأمر بات مرعباً بالنسبة له، فكر ملياً أن يترك كل شيء و يسير مستقيماً و يعتبر بما رأي، صراعه الداخلي كان حائراً بين هذين المصيرين، إما أن يظل كما هو واثقاً في نفسه و في ذكاءه الذي لم يخذله قط، أو أن يبتعد عن تلك المخاطرة و يعود لما ينبغي أن يكون عليه، و لكن طارق كان مريضاً بالأرقام و الأموال، كان يشم رائحة الشيكات من قبل أن تأتيه، لم يكن يتخيل نفسه يوماً ذلك المواطن البسيط الذي يخرج صباحاً و يعود عصراً حاملاً طلبات المنزل التي ابتاعها من محل شخص ما يشتري منه دائماً لأن أسعاره منخفضة نسبياً مقارنةً بغيره، كان من الصعب عليه أن يهبط هكذا، المفارقة كانت في عدم إدراكه أن الثروة من الممكن الوصول إليها بطريق لا يؤدي به إلي السجن، و لكن الإنسان خلق عجولاً و غير صبور علي الإطلاق، طريق الشر دائماً هو الأسهل و دائماً محاط بالمغريات، و طارق كان من الممكن أن يصير أحداً غيره في يومٍ من الأيام لو كان سخر ذكاءه في إنجاز شيئٍ آخر، و لكنه الآن أدرك أن المصائر واحده و لكن الوسائل تختلف.

* * * * * *

مرت عليها الأيام منذ آخر حوار قدمته للجريدة، كان الوقت قد حان لتقديم شيئاً جديداً، هي الآن تنتظر مكالمة من الجريدة تسألها عن إنتاجها الذي تعاني من ندرته، كانت تفكر في كل

شخص قابلته من الممكن أن يساعدها و لو بالقليل، جال بخاطرها ذلك الشاب الذي حدثها بطريقة صلبة و حاسمة، لا تلبث أن تفكر به إلا و تذهب بذهنها بعيداً، فانطباعها عنه لم يكن جيداً علي الإطلاق، و لكنها وجدت الإختيارات قد نفذت من أمامها و لم يكن متاحاً غيره، و لكنها لا تملك أي وسيلة اتصال به، و بما أن الحلول لديها لا تنفذ فقد تنبهت للعديد من الوسائل منها أن تنتظره أمام المكتب مجدداً أو تنتظر أحد زملاؤه و تطلب من أحدهم رقم هاتفه بحجة أنها أحد الموكلين أو شيئاً من هذا القبيل، المشكلة ليست هنا و لكن المشكلة كانت تكمن في طريقته الغير مرحب بها أبداً، و لكنها تغاضت عن هذا من منطلق أن أكل العيش مراً و أنها تفعل ذلك من أجل عملها الذي يتطلب منها التضحية و الإجتهاد.

* * * * * *

كان واقفاً في الشرفة يحدق في المارة تارةً و يراقب الجالسين علي القهوة تارةً أخري، سمع صوت هاتفه يصدح بالداخل، كان متأكداً من أنه ضياء عرفة خصوصاً و أنه قد أتم أسبوعاً كاملاً دون أن يذهب للمكتب، لم ينظر حتي للرقم الظاهر علي شاشة الهاتف فانطلق في الرد مسرعاً و علي وجهه ملامح الملل و هو يقول:

- ألو

من الجهة الأخري جاءته نبرات حانية جددت شغفه و أسقطت

ملله أرضاً و هي تقول:
- أيوة يا أستاذ عمر، إزيك ؟
حاول أن يخالف ما هو مؤكد فقال مستنكراً:
- أنا الحمد لله تمام، مين معايا ؟
ضحكت ضحكةً خفيفة ثم قالت:
- إحنا آه متكلمناش كتير، بس دة مش مبرر إنك تنسي صوتي بالسرعة دي، إنت دلوقتي مدين ليا باعتذار مماثل لاعتذاري!
شعر بشيء من الدهشة فصمت للحظات و لم يتكلم، فاستطردت هي:
- إوعي تسألني السؤال الساذج بتاع جبتي رقمي منين دة، إنت أكيد أذكي من كدة.
إبتسم بهدوء و كأنه كان سيسألها فعلاً ثم أردف قائلاً:
- إعتبريني مسألتش، بس ممكن أفهم حضرتك متصلة بيا ليه ؟
باستعداد بيّن و بسرعة قالت:
- عايزة اشوفك
قالتها و كأنها كانت تتوقع سؤاله فالإجابة كانت حاضرة بطريقة صادمة.
أما هو فكان متبلداً هذه المرة فتحدث بجدية قائلاً:
- عايزة تشوفيني ليه!
- مش عارفة حاسة اني محتاجة اتكلم معاك.

تحولت من تلك الفتاة المرحة في البداية إلي تلك المسكينة الهادئة، تحولاً برز جزءاً من المكر الأنثوي الذي أدركه عمر فصمت قليلاً، فاستكملت هي كالعادة قائلة:

- ممكن نتقابل ؟

لم يكن يعرف لماذا يرفض مقابلتها أو لماذا يوافق، صوتها كان ساحراً فجعله يفكر، و صوت أنفاسها بانتظار رده زاده ارتباكاً، فخرجت منه لا إرادياً كلمات لا يشعر بها مضمونها موافقة علي عرضها مما جعلها في سعادةٍ بالغة و هي تقول:

- ميرسي يا أستاذ عمر بجد.

أغلق معها الهاتف بعد أن اتفقا علي مكان اللقاء بعد إسبوع، عمر كان سعيداً و لكن شعوره بالسعادة هذه المرة كان إرادياً لأنه انبعث من شيء ما بداخله كان بحاجة لمثل هذا العرض بشكلٍ أو بآخر.

* * * * * *

خرج من مكان عمله في ميعاده الذي يخرج فيه كل يوم ليسير في نفس الطريق المزدحم و يري نفس المباني علي الجانبين و يشم نفس الرائحة التي تنبعث من إحدي المطاعم في ذلك الجزء من الطريق الذي يختفي فيه الزحام و يسير مسرعاً ليرتاده الهواء من جميع نوافذ السيارة فيستمتع قليلاً قبل أن يجد نفسه أمام منزله و يختفي الهواء و يعود كل شيء إلي ما كان عليه.

كان سيناريو يتكرر يومياً بلا تغيير، من أهم ما يهب الحياة القيمة و الإلهام هو تحمل ما لا يقدر الكثير علي تحمله، فالحياه أثرت في الدكتور عبد العزيز كثيراً و أكسبته شخصية صلبة لا تكل ولا تمل، كان حزيناً علي السنوات التي مرت دون أن يفعل ما كان ينبغي عليه فعله، بدأ مؤخراً يدرك أنه يتحمل جزءاً كبيراً من تأخره هذا بسبب التفاني المبالغ فيه و الإخلاص بدون حدود، فقد ظلم نفسه كثيراً دون أن يدري، أدرك مؤخراً أن العمر قد مر منه الكثير و لم يتبقي سوي القليل لتعويض ما مضي و التفكير فيما سيمضي بقليلٍ من الحكمة.

* * * * * *

- الندم ليس هو الحزن علي ضياع الأشياء دون استغلالها، و إنما هو الحزن علي سوء استغلال تلك الأشياء. -

الفصل السابع

كانت مستغرقة في النوم بعد أن قضت ليلةً دسمة حافلة بشتي أنواع الموسيقي التي لم تكن تحبها و لكنها قررت أن تعيد اكتشاف تلك الأنواع من جديد، فضلاً عن ذلك الفيلم الذي شاهدته برفقة والدتها فظلت مستيقظة حتي ساعات متأخرة من الليل، و لكن صوت هاتفها الذي كان يصدح قوياً أيقظها منزعجة لفقدانها تلك الحالة التي لن تتكرر كثيراً، كان المتصل رقماً غريباً لم تكن تعرفه أو كانت تعرفه و لكنها نسيته ككل شيء، نظرت لشاشة الهاتف مطولاً ثم قررت أن تجيب:

- ألو.
- ألو . . ليلي؟
- أيوة أنا . . مين؟ قالتها بلامبالاه و هي تغالب النوم.
- إزيك يا ليلي أنا عاصم، أنا آسف لو كنت عطلتك عن حاجة بس احنا بنحاول نوصلك من فترة و دايماً موبايلك مقفول، إنتي كويسة ؟

كانت مفاجأة بالنسبة لها و لم تتوقعها، الدهشة التي ألمت بها

كانت كافية لإيقاظها كأنها لم تكن نائمة، إستكملت قائلة:
- إزيك يا عاصم، أنا الحمد لله كويسة معلش أنا بقالي فترة بعيدة عشان كان عندي شوية مشاكل و لخبطة، بس هحاول انزل الكلية قريب.
- طب مش حابة نتقابل، فيه ناس كتير أوي نفسها تشوفك، قالها ضاحكاً.
إبتسمت قليلاً ثم قالت في حرج:
- مش عارفة
- طب هقولك حاجة، أنا و نسرين و باقي صحابنا متفقين نتقابل الخميس الجاي، إيه رأيك تيجي و نعملها مفاجأة ؟
لم تجد مجالاً للرفض و لا للقبول فاستطردت قائلة:
- طيب هشوف و هرد عليك.
أردف ضاحكاً و كأنه لم يسمع شيئاً:
- خلاص يبقي هعدي عليكي الخميس الجاي الساعة ٧ ، سلام.
أطلقت ضحكة بصوتٍ مرتفع و هي تودعه منهية الإتصال.

* * * * * *

التاسعة مساءً . .

مطعم شهير بالزمالك . .
كان جالساً علي الطاولة التي يـجلس عليها دائماً، إختارها دون

غيرها لابتعادها قليلاً عن ضوضاء المطعم و لاقترابـها كثيراً من ذلك الحائط الزجاجي الذي يطل علي الطريق مباشرةً فيسمح له برؤية من يسيرون بالخارج أو عدم رؤية من يـجلسون بالداخل، لم يكن مُحباً للإختلاط بالناس أو الجلوس في الأماكن العامة كثيراً، طارق كان يري أن نسبة كبيرة من الناس - أو ربما معظمهم- منافقين و متعددي الأوجه، من السهل عليه أن يرمق ذلك الشاب الذي يجلس بمواجهة فتاه بجانبه و يعلم إن كان صادقاً تجاهها أم لا، لذلك لم يكن يحب أن يدقق فيمن حوله كثيراً حتي لا ينشغل بما تحب النفس أن تنشغل به، لم يكن يعلم إن كان هو موهوباً في ذلك أم أن نظرته علي الأشياء بطريقة مجردة عن بعد تسمح له برؤية الحقائق جليةً، و لكنهم في الغالب يظهرون واضحين و نحن ندرك ذلك و نتظاهر بعدم الإكتراث، فهناك من حقق إنجازاً ما و عندما ذهب ليلقي الخبر علي أصدقائه رأي أحدهم يصطنع ابتسامة زائفة تجعله يبدو مسخاً و تختفي من وجهه سريعاً كأنه أراد ألا يظهرها، الإنسان خُلق و في نفسه السوء و لكننا نختلف عن بعضنا البعض إختلافاً يجعل أحدنا سوي و يجعل الآخر غير سوي و هنا يبرز الفرق بين الخير و الشر، بالتأكيد كان حكمه هذا ظالماً للبعض و غير منصفاً، و لكنه كان علي يقين من اعتقاده هذا، فطارق منذ أعوام عديدة لم يكن يتخيل أنه سيتحول لهذا الشخص الذي هو عليه الآن، أن يكون مولعاً بجمع

الأموال بهذه الطريقة البشعة و أن يعيش منساق لهذا الهدف، أن يفعل أشياء غير مألوفة بالنسبة له كابتزاز البعض و البحث عن فضائح للبعض الآخر أو أن يُقدم علي الزواج من فتاه لا تريده - و هو يعلم ذلك – بسبب علاقة ما سيجني من ورائها المزيد، بالنسبة له أصبح يملك كل ما تمني أن يملكه و مالم يكن يتمناه، و لكن كان هناك شيء ما يفتقده، شيء لا يستطيع أن يشتريه بأمواله، الحياه بالنسبة له فقدت لذتها، فهو إن استيقظ صباحاً و نظر من خلال النافذة فإنه لن يستنشق الهواء البارد صباحاً و لن يتأمل شعاع الشمس العابر بين ثنايا السحب ليضيء غرفته و كأن الطبيعة تقولها له صريحةً: -أيها الأحمق! هناك ما لم تتذوقه هنا-، هو لن ينتبه لكل هذا لأن تفكيره الدائم في البيزنس يتملكه و يسلبه كل ما يجعله إنساناً و يكسبه كل ما يجعله آلة، و لكن عدم مواجهته لضغوط كثيرة تشغله أعطاه فرصةً جديدة لإدراك ما فاته، بدأ يفكر جدياً في جدوي ما يسعي إليه و يهدر الوقت من أجله، الظروف أقحمته في نقطة تحول في حياته لا مفر منها و عليه أن يتخذ قراراً صائباً حيالها.

* * * * * *

بدأ يعود لحياته العملية من جديد بعد ما قضي فترة لا بأس بها بعيداً عن المكتب و القضية و كل شيء، في تلك الفترة هناك أمور كثيرة تغيرت، فقد انطفأت شرارة فرحته و ولعه بالقضية التي

تولاها و لم يعد كما كان، كان حزيناً لهجره هوايةً عزيزة علي ، فبعد أن كان الصيد جزئاً مهما من يومه - و ربما الأهم – أصبح شيئاً ثانوياً لابد من التخلص منه حتي يتفرغ لعمله الذي بات أحقاً بكل ما يملك من وقت و مجهود، لم يعد ينظر لحاله و هو سعيد بل أن التعاسة بدأت تزحف إليه من أبواب الماضي التي لم تكن موصدة بإحكام، فكر كثيراً في الإبتعاد عن كل هذا و لكن مكالمة ضياء عرفة له أرغمته علي العودة مجدداً و استكمال العمل علي القضية.

دخل المكتب متأخراً بضعة دقائق فوجد الجميع مجتمعين في مكتب ضياء عرفة، دخل و ما لبث أن دخل إلا و قابله ضياء عرفة بابتسامة قائلاً:

- كويس يا عمر إنك جيت عشان فيه كلام مهم كنت لسة هقوله و لازم تسمعه.

تنبه عمر مظهراً شيء من اليقظة و التأهب علي وجهه فاستطرد ضياء عرفة قائلاً:

- النهاردة الصبح القاضي أجل الجلسة الأولي شهرين.

لم يعرف ما كان ينبغي أن يبدو علي وجهه من ملامح فاكتفي بهز رأسه في صمت و لم يلتفت إلي ردود أفعال البقية.

* * * * * *

كان قابعاً كما اعتاد في ركنٍ أقل ظلمةً من البقية، فترة الغداء

كانت صعبة بالنسبة له لأنها تجبره علي الإختلاط بالمسجونين و بالعساكر و هو لا يحب ذلك فتناول طعامه سريعاً ثم عاد مسرعاً إلي حيث يمكث، إستند بظهره علي الحائط المليء بالنتوءات التي تلدغ ما تبقي في ظهره من عظام و لكنه اعتادها، جلس يفكر فيما آل به إلي هنا و في الأيام التي انقلبت به انقلابةً لم يكن يتوقعها أبداً، كان الأمر عسيراً عليه أكثر من أي شخصٍ آخر، إنه من القسوة أن يبيت علي فراش صلب مغطي بقطعة قماش بالية و هو في الليلة الفائتة كان نائماً علي حريرٍ لا ينقصه من النعومة شيء، المشكلة ليست في أن الحياة غير عادلة و لكن المشكلة في أننا اعتدنا عدم عدولها و بالتالي تحدث المفارقة عندما يشاء القدر أن يحدث قدراً من التوازن فيظهر الوجه العادل القاسي فجأةً و بدون مقدمات، هو كان يعرف أنه مذنباً و لم يُظلم و لكن الحياة هي من ظلمته.

سأل نفسه كثيراً لم كل هذا الجهد المبذول في سبيل جمع الأموال؟ أدرك أنه كان أحمقاً في الماضي عندما كان يتخيل أن المال هو كل شيء و في الحقيقة تلك المعضلة التي تشغل عقولنا جميعاً ستؤدي بنا إلي حيث ما لم نكن نتخيل.

عاد بذاكرته للوراء قليلاً و تذكر هيئته التي لم يكن يشوبها غبار، كم يفتقد تلك البدلة السوداء التي اشتراها من باريس عندما كان يقضي عطلة رأس السنة هناك العام الماضي، تذكر ليلي . .

تلك الفتاة الجميلة المشاغبة التي تحارب من أجل استقلالها، إرتسمت بسمةً عابرة علي وجهه عندما تذكر خلافاتهما الكثيرة و لكنه لا يلبث أن جاءه الحزن مجدداً لأنه يفتقدها، يذكر عندما كانت تمر فترة علي إنقطاع حديثه معها فيذهب إليها يُحدثها فتهاجمه بعبارات قوية – يقابلها هو بتركيز- تتبعها ضحكة لا إرداية منها تُذيب الخلاف و كأنه لم يكن، كان هناك ما هو أهم من المال و النفوذ، الآن هو ينظر للأمور بحكمة لم تكن لتأتيه إلا في هذا الركن الذي لم و لن يقدم له سوي فرصة ليحُدث نفسه الآثمة و يوبخها، و بكل تأكيد لم يكن ليفكر في مثل هذه الأمور و هو بالخارج حيث اللهو و الإنشغال الزائف بكل ما ليس له قيمة و ترك الأشياء القيمة تضيع هباءً، هكذا سيعيش الإنسان و هكذا سيموت، يولد كالملاك لا يُعيبه شيء يسير كشعاع من نور يضيء كل ما حوله، ثم تمر به الأيام و يبدأ في التحول بالتدريج إلي ذلك الإنسان الذي يلوث سجيته النقية و يعبث بها، من يصدق أن هذا الملاك الذي يجلس علي راحتي إحداهن سيأتي عليه يومٌ يقتل فيه نفساً أو يسرق أو يُفسد، تحولٌ غريب و خطير يستحق الوقوف أمام الله حتي يسألنا عن الملاك الذي كنا عليه سابقاً و ما فعلنا به ليصبح ما هو عليه نحن الآن، لذلك كان يرهقه أن يري شكله بعد ما حدث له، كان يتحاشي الوقوف أمام المرآه أو أي سطحٍ لامع يستطيع أن يعكس صورته التي باتت مكروهةً

بالنسبة له، كان مؤثراً أن يري هيئته و قد أعيتها خطاياه و عبثت بها حتي بدا هذا الجسد الهزيل الذي لا حول له ولا قوةً و الذي يحمل إسماً كان يوماً ما مرموقاً و لم يعد كذلك.

* * * * * *

خرج من البناية التي تحوي المكتب متجهاً للرحيل مركزاً بصره في الأرض و لم ينظر أمامه كعادته عندما يسير، سمع صوتاً ما يناديه:

- أستاذ عمر !!

رفع رأسه ببطء ليجد دارين أمامه في نفس المكان الذي رآها فيه سابقاً، و لكن هذه المرة لم تكن داخل السيارة، نظر لها بامتعاض و أردف في صلابة قائلاً:

- أفندم.

إبتسمت قليلاً و تقدمت خطوة للأمام لتقترب منه أكثر و حافظت علي ابتسامتها و هي تقول:

- أنا المرة دي محتاجة منك وقت أقل من المرة اللي فاتت، متخيل؟!

كان الأمر هزلياً و لكنه لم يبتسم بالرغم من أنه كان يريد ذلك، صمت لبرهة ثم قال:

- صدقيني أنا معنديش أي معلومات تفيدك، ممكن تشوفي حد غيري؟

نظرت له بملامح ثابته و أردفت قائلة:

- بس أنا مش عايزة أي معلومات تفيدني، أنا عايزاك بس تقولي آخر أخبار القضية إيه، و علي فكرة القضية دي مش من اهتماماتي بس دة شغلي بقي هعمل ايه.

هم ليقول شيئاً و لكنها استكملت بشيء من الجدية قائلة:

- هو انتوا ليه كدة بجد !! ليه بتتعاملوا مع الصحفي دة وكأنوا شحات! علي فكرة من حق الناس تعرف دي قضية رأي عام و انا دوري أعرفهم و حضرتك المفروض تساعدني.

- و ليه أنا ؟

بنبرة هادئة و هي تدير له ظهرها و تتجه راحلة قالت:

- عشان ضياء عرفة مكلفك انت بالقضية.

إندهش من هدوئها و هي تقولها فأضاف قائلاً:

- إستني.

إبتسمت و هي تعود إليه مرة أخري و سألها هو قائلاً:

- عرفتي منين ؟

ضحكت بصوتٍ عالٍ و هي تقول:

- إتفضل يا أستاذ عمر القهوة آخر الشارع مش بعيد.

* * * * * *

وقفت أمام النافذة قليلاً تستمتع بالهواء البارد الذي يمر في لحظات ما قبل الغروب عندما تتأهب الشمس للرحيل، سرحت و هي تنظر للسماء و هي تفكر فيما عرضه عليها عاصم منذ

أيام، كانت تشعر بأنها ليست فرصة للخروج و استنشاق الهواء و حسب، و إنما كانت تراها فرصةً للعودة للحياة مرة أخري، فرصة لترك الغرفة التي بهتت جدرانها من كثرة النظر إليها و إلي أركانها المظلمة حالها كحال أغلب الأيام التي تمر عليها و هي وحيدة، من الممكن أن تكون الحياه قاسية بعض الشيء و ليست عادلة و لكن من المؤكد أنها تمنحنا الفرص و الأهم من تلك الفرص هو أن نكون حاضرين لاقتناصها، و لكنها كانت تشعر بشيءٍ من الخجل، فكثرة الغياب و الإبتعاد قد وضعت بينها و بين أصدقائها حاجزاً ليس باليسير هدمه، فمن المؤسف أنها ستقابل أصدقائها و كأنها أول مرة تلقاهم، الأمر بدا سخيفاً جداً و هزلياً و لكن التحول الذي صار نتيجة الإبتعاد أمر محزن و عجيب من الصعب التأقلم معه و تفهمه.

أما عن عاصم فهي كانت تتسائل لماذا كان هو تحديداً المتصل بعد هذه المدة الطويلة؟

العلاقة بينهما كانت مشوشة بالنسبة لها و غير واضحة المعالـم، هي لم تكن تفكر به إطلاقاً، فالفترة التي مرت بها محت من ذاكرتها كل هؤلاء الأشخاص، و لكنها كانت سعيدة لأنه هو من اتصل و كانت أسعد عندما أصر علي رؤيتها، بعيداً عن أي شيء كان شيئاً جميلاً أن تجد من هو حريص علي رؤيتها و مهتم بشأنها بعد أن كانت تظن أنها بعيدة كل البعد عن أن تكون محل

اهتمام أحدهم، القرار النهائي بالموافقة علي اقتراح يوم الخميس بدأ يأخذ حيزاً كبيراً في ذهنها، كانت تنظر للحياة بإعجابٍ شديد، تكون جالساً لا تفكر في أي شيء ثم تأتيك مكالمة هاتفية قصيرة تملأ عقلك بالأفكار و تغير الحال رأساً علي عقب دون أن تدري، مشكلة المفاجأة ليست في حدوث الشيء بشكلٍ عارض، و إنما تكمن المشكلة في أن الشيء الذي يحدث دائماً لم نكن نتوقعه.
نسمات الهواء اشتدت و بدت السماء علي وشك أن تمطر فأغلقت النافذة و عادت إلي غرفتها، و قفت أمام الدولاب تتفحصه ثم فتحته و نظرت علي ملابسها و هي تقول: و الله زمان يا ولاد.

* * * * * *

لاحظت أنه هذه المرة كان أقل حدةً من المرة الفائتة فشعرت بالإرتياح لذلك و قررت أن تلطف الأجواء أكثر قائلةً:
- الحمد لله طلعت طيبة أهو و جبتك ع القهوة زي ما قلتلك، مطلعتش بخطف الناس ولا حاجة.
نظر لها بضيق و يأخذ رشفة من مشروبه فاستكملت هي قائلة:
- يا تري إيه الجديد في القضية يا أستاذ عمر؟
- إنتي ازاي كدة؟! قالها بغتةً و كأنه لم يسمع سؤالها فاندهشت و أجابت مستنكرة:
- مالي؟
- إنتي شخصية مختلفة تماماً عن كل الصحفيين، طريقتك في

الكلام غريبة و الأغرب انك تاخديني ع القهوة عشان تعرفي مني معلومات، بيتهيألي مفيش صحفي بيعمل كدة ولا إيه؟
هربت منها ابتسامة و هي تنظر جانباً ثم أعادت النظر إليه مرةً أخري و قالت:
- أنا عارفة اني مختلفة شوية، بس دة عشان أنا بحب شغلي و مش حابة أحس إني مقصرة تجاهه بأي شكل من الأشكال و إن كان إخلاصي دة بيخليني استحمل ردود صلبة كتير أو نظرة الناس ليا علي إني شخص فضولي مريض، بس كل الحكاية اني بحب شغلي بس.
- طيب ممكن أسألك سؤال؟
- إتفضل.
- إنتي عرفتي منين ان ضياء عرفة مكلفني بالقضية؟
أطلقت ضحكةً ثم استتبعت قائلة:
- أول مرة لما كنت واقفة عند المكتب مستنية حد يخرج أسأله زي بقية زمايلي اللي كانوا واقفين، لما شفتك و انت نازل كان شكلك بسيط و كنت بتضحك زي العيال، و كنت ماشي مش مركز حواليك من السعادة، وقتها راهنت نفسي انك شغال ع القضية دي بأي شكل و انت أكدت لي حدسي دلوقتي أهو. قالتها و هي ترفع كوب الليمون لتشرب منه قليلاً بما يعطيه فرصة لاستيعاب الكلام.

إبتسم هادئاً و نظر لها بما يعني أنه كان محقاً عندما ظن أنها مختلفة عن البقية، فهمت ما يعنيه و ردت قائلة:
- صدقني يا أستاذ عمر، مهم جداً إنك تكون مختلف و مميز، الحياه عايزة كدة، عايزة حد بيخبط هنا و هنا و عقله دايماً شغال لإن الدنيا مبتديش الغلبان للأسف، و بعدين متغيرش الموضوع.
قالتها مداعبة و هي تضحك.
- حاضر، بالنسبة لي بقالي فترة بعيد عن المكتب و الفترة اللي فاتت مكنش فيه تقريباً حاجة جديدة، بس النهاردة القضية اتأجلت شهرين.
- طيب دة خبر هايل، أنا متشكرة جداً دة الكارت بتاعي أتمني تكلمني لو حصل أي جديد، و بعدين خلاص احنا بقينا صحاب.
إبتسم لما سمع و قال:
- أكيد طبعاً.
لوحت له بيدها و رحلت بعيداً، بينما هو ظل جالساً متعجباً من تلك الشخصية الفريدة، دارين كانت نشيطة . . ذكية . . محبة للحياه، هي شخصية صارعت الحياه و تأرجحت كثيراً حتي استقامت، تبدو عليها القوة و الثقة في كلماتها، شخصية صلبة لا يؤثر فيها الكثير، هيئتها كانت دائماً عشوائية و غير مهندمة و لكنها بدت نفسياً مُنظمة بشكلٍ لا يمكن أن يعكسه مظهراً زائفاً كالبقية، فكانت من الشخصيات الذين أرادهم عمر أن يكونوا في

حياته شأنها شأن خاله و إيهاب و البقية التي تسكن في خياله و لم يقابلهم بعد.

* * * * * *

- الحياة هي عدم حتي تُعاش، و هي لك لتصنع معني بها، و قيمتها ليست سوي المعني الذي تختاره. -

سارتر – فلسفة الوجودية

الفصل الثامن

كان جالساً في المنزل وحيداً كما اعتاد مؤخراً، كان يتجول بين طرقات المنزل الصغيرة و كأنه يدخله لأول مرة، تذكر حينها المرة الأولي التي ارتاد فيها هذا المنزل من سنينٍ عدة، كان شاباً طموحاً في مقتبل العمر، مستقبله المزدهر كان مرسوماً أمامه و لم يكن خيالاً أبداً، و لكنه كان امتداداً للواقع الذي ملأه تفوقاً و اجتهاداً بما يبشر بمستقبل عظيم لهذا الشاب المثابر، و إن كان يعلم أن القدر يخالف دائماً ما تشكله لنا الخيالات و الأحلام لما تمني أن يتمني من سيكون، لايزال يذكر وجه أخته التي أصرت أن تودعه قبل أن تذهب برفقة زوجها للإسكندرية، كان وداعاً حاراً لم يعتاده منها، كان غريباً أن تدق بابه في الصباح الباكر فقط كي تودعه الوداع الأول من نوعه، فماذا يعني هذا الوداع سوي أنه آخر لقاءٍ بينهما، و ماذا تعني نظراتها التي كانت تود أن تقول شيئاً عجز اللسان عن النطق به، كان يشعر بها و لكن كذّب إحساسه، قضت معه دقائق قليلة لم يفهم معناها غيرها، وجهها الجميل كان شاحباً علي غير عادته و نضارة وجهها كانت منطفئة،

يعتريها خوفٌ غير مبرر وغير مألوف، رحلت سريعاً خشيةً أن يظن بها الظنون أو أن يُخيل إليه أنها حزينة بسبب شيءٍ ما فيُجبرها علي التحدث بما لم تستطعه و تمنت لو كانت تقولها له صريحةً و لكن الأمر كان أكبر من أن يبوح به أحدهم، ودعته و في طريقها للخروج من الباب توقفت، إلتفتت إليه و عانقته طويلاً، عناقاً كان مُعبراً عن كل ما تحمله في نفسها، تسللت من عينيها قطرات دمعٍ نقية خضبت حافة كتفه الأيمن و سكنت من بعدها لحظات، حينها أدرك أن هناك شيئاً فريداً غير مألوف، تركته بعدها و خرجت مسرعةً، لحقها سريعاً إلي النافذة فرأي زوجها الذي كان ينتظر بالخارج فابتسم حين رآها فنظرا عالياً إليه سوياً ملوحين بأيديهم و علي وجههم ابتسامة خالدة ببرائتها في ذهنه فلم ينساها و لم ينسي ذلك المشهد الذي ظل بعده مستيقظاً و لم ينم حتي جاءه الخبر الذي لم يكن ينتظره، رحلت عنه و كأنها في عناقها الأخير له قد سلبته الحياة التي كان يراها من خلال ابتسامتها المشرقة و روحها النقية، منذ هذه اللحظة قرر أن يعيش زاهداً و أن يهب ما بوسعه لعمر الذي جاءه طفلاً يبحث عن من سيتولي أمره و لكن كيف يُسقي الورد بغير ماؤه.

* * * * * *

تابعت القراءة من جديد بعد أن كانت انقطعت عنها لفترة بسبب انشغالها في عملها، كانت كلما قرأت عدة صفحات أصابتها

دهشة و ارتياب مما تقرأه، شيء ما بداخلها يخبرها بأن تلك الأحداث مألوفة، بنسبة كبير هي رواية مكررة قد أرسلت إليها مجدداً في شيء من الإلحاح من جانب أحد الكُتاب الغير معروفين، و لكن حدسها هذا كان يدفعها للمزيد من القراءة للتأكد من حقيقة ظنها، فكانت تلتهم الكلمات التهاماً، بدأت تفقد متعة القراءة و متعة الإختيار، أصبحت تحمل بين يديها رواية تمثل لها تحدياً كبيراً خاصةً و أن كاتبها لا يزال مجهولاً حتي الآن، و لكنها كانت تري الأمر مثيراً فلم تكن تتخيل أن تستيقظ يوماً لتجد نصاً مجهول الهوية يقبع أمام منزلها بانتظارها، أمر غريب يثير الدهشة و يفرض ملامح البلاهة علي وجهها. طوال هذه الفترة كانت تقاوم رغبتها في أن تلقي نظرة علي الصفحة الأخيرة، و لكن تلك المرة كان فضولها أكبر من أي شيء فقلبت الأوراق سريعاً و وصلت للصفحة الأخيرة التي كانت تحمل ما هو أغرب من الكلمات، فالصفحة الأخيرة كانت مجرد ورقةً بيضاء ملصق عليها صورة قديمة سوداء لا تحمل أي لون ولا أي معني، فقط قاتمة مبهمة لم تعطيها الإضافة التي كانت تنتظرها فازدادت حيرتها و لم تجد أمامها شيئاً سوي الإستمرار في القراءة.

* * * * * *

اليوم كان إجازته من المكتب، فقرر أن يقضيه مع خاله، فكان اليوم لطيفاً، تحدثا كثيراً في شتي أمور الحياة، الدكتور عبد

العزيز لاحظ أن عمر قد تغير كثيراً عما كان، أصبح كلامه لبقاً لدرجة كبيرة و في الفترة الأخيرة أصبح مهتماً بالقراءة الغزيرة و البحث في الفلسفة تحديداً، حديثه أصبح مدعماً بمعلومات كثيرة و مستشهداً بعبارات قرأها في الكتب التي عكف علي الغوص في ثناياها، فضّل ألا يسأله عن سبب اهتمامه المفاجيء بهذا النوع من المعرفة، هذه النزعة للمعرفة شجعته ليتطرق معه إلي موضوعات لم يكن يتحدث معه عنها من قبل، فكانا يتحدثان عن الإنسان و طبيعته الغريبة، فصمت قليلاً ثم قال له:

- عمر، من وجهة نظرك، إيه هي السعادة؟

صمت قليلاً و نظر له في استغراب ثم رد قائلاً:

- من وجهة نظري يا خالو أنا بشوف ان السعادة الحقيقية هي اللي دايمة، مش مؤقتة و مش مرتبطة بأشياء بعينها، و إن كنت بتسألني علي النوع دة من السعادة فانا ممكن أقولك إن السعادة مش هتدوم إلا لو كانت نابعة منك و مرتبطة بيك لذاتك، عشان كدة انا بشوف سعادتي في قيمتي، في الشيء اللي بضيفه لحياة الناس، الشيء اللي بيفكر الناس بيا بعد ما أموت، ممكن اكون مش بقدم شيء يفيد الناس لكني بحاول اعمل دة دايماً، حتي لو كنت صديق وفي و مهم في حياة أي حد فانا كدة بضيف له و ربنا يعيني علي باقي الناس. قالها مازحاً.

نظر إليه خاله بتعجب كأنما يقول من أين أتتك تلك الكلمات يا

بني ثم استطرد قائلاً:
- طب و إيه هي نوع الإضافة اللي هتقدمها؟
أجاب سريعاً و كأنه يتوقع السؤال فأجاب قائلاً:
- مفيش أنواع يا خالو، الموضوع عام و بيتشكل علي حياة كل واحد فينا، عشان كدة سعادتنا بنستمدها من سبب وجودنا و هو ان كل واحد يسعي لإنه يكون مؤثر بالإيجاب في حياة الناس، زيك مثلاً، مهنة الطبيب دي من أعظم المهن، كل يوم بتنزل من البيت و انت مدرك أهميتك و قيمتك، مش عشان اسمك دكتور و لكن عشان دورك مهم و تأثيرك في حياة أي حد واضح و بارز.
- يعني أفهم من كدة إنك شايف إني هكون سعيد طول مانا هدفي العطاء و ليس الأخذ؟
- بالظبط كدة يا دكتور، بس إيه سبب السؤال المفاجيء دة
ضحك ضحكةً قصيرة ثم أردف قائلاً:
- مفيش سبب، مجرد سؤال عابر، قوم اعملنا كوبايتين شاي يالا.
- حاضر. قالها و هو يغادر الشرفة مبتسماً.
في طريقه للداخل وجد هاتفه يهتز باتصال أحد أصدقاؤه-رفاق الصيد- يسأله عن أحواله و أسباب تغيبه عنهم هذه الفترة الطويلة، فما كان من عمر سوي الإجابات التقليدية التي تلقي اللوم علي الحياة و المشاكل التي تلهيه عنهم و عن كل شيء واعداً بأنه سيعاود الذهاب إليهم قريباً، أنهي المكالمة و هو يسير

في أرجاء المنزل ليجد نفسه في غرفته حيث كان منظر مكتبه عشوائياً لدرجة تُلفت النظر، تراءت له بعض الأوراق التي كانت مبعثرة فذهب ليجمعها تحسباً من أن تكون بينها أوراق تخص القضية أو ما شابه، من بين تلك الأوراق كانت هناك ورقة من تلك المذكرات التي اقتناها فأمسك بها و استند بكتفه الأيسر علي الحائط و أخذ يمر بعينه بين الكلمات . .

- فبراير ٢٠٠٠ . .

إستيقظت اليوم مبكراً علي غير عادتي، جلست فلم أجد للنوم سبيلاً، أخذت أتأمل كل شيء حولي و تأملت نفسي التي تأكل و تنام و تقضي سنوات من عمرها نائمة، أخذت أفكر في الحياة و في قطار العمر الذي يمر سريعاً دون أن ندري، كنت أشعر بشيء من الشفقة علي نفسي لأنني استيقظت دون أن أجد ما يستدعي الإستيقاظ من أجله، حقيقةً لا أفعل شيئاً في حياتي، قليلٌ من الأشياء التي يفعلها البقية، هل أنا بحالٍ جيد؟ أم أن هناك شيءٌ كبيرٌ ينقصني و لا أعلم ما هو؟ نعم تأملت الحياة بشيءٍ من الحكمة التي لم تأتيني بغتةً إلا لسبب، أدركت أن هناك شيء ما يقف بعيداً منتظر أن آتي إليه، و أن كل إنسان خُلق و بيده أن يفعل ما يميزه عن غيره ليترك أثره في الحياة و لا يمر به

العمر هباءً، لا أريد أن أعود كما أتيت، إنه لشيء مخزي أن يموت الإنسان دون أن يترك ما يُذكر الناس به من بعده، لا أتحدث عن الأخلاق أو السمعة الطيبة أو كل هذه الأشياء الغير ملموسة، أنا أتحدث عن أثر مادي بحت، أعتقد أن رسالتنا ليست جمع الأموال أو تحقيق مناصب أو رقي اجتماعي، و إنما رسالتنا هي فعل ما يفيد البشرية و ما يساهم في الإرتقاء بوجودية الإنسان الذي سيُسأل يوماً عن ما فعل، الإنسان خُلق لكي يُعمر الأرض كما ينبغي أن تكون، أن يترفع عن المظاهر و الأهداف الذاتية و يهتم بأن يكون ملهماً . . مؤثراً . . نافعاً له بصمته و دوره، يمتلك شيئاً لا يمتلكه غيره، جميعنا خلقنا و بداخلنا شيء ما دفين يبرز قيمتنا و يميزنا عن غيرنا و لكن البحر بخلاف موجه لم يظهر من باطنه سوي القليل. -

* * * * * *

كان جالساً يُحادث نفسه سراً عندما أتاه خبر وجود زيارة له، خرج سريعاً ليستنشق بعض الهواء و يُحرك جسده الذي اعتلاه الإرهاق، خرج ليجد طارق أبو النجا كالعادة، و لكنه كان مختلفاً قليلاً عن المرة الفائتة، فلم يبد علي وجهه ملامح السعادة التي كان يبادره بها من بعيد قبل اللقاء بل كان وجهه خالي من التعابير و ناظراً إليه في جدية، تقدم نحوه و جلس صامتاً، تحدث طارق في هدوء قائلاً:

- إزيك يا شريف.
- الحمد لله يا طارق، إزيك انت و ازي ليلي و مريم؟
- إحنا كويسين الحمد لله، إنت مالك في إيه؟
قالها بنبرة استجواب، فاستطرد شريف و كأنه لم يسمع شيئاً قائلاً:
- هو احنا ليه بنعمل كدة؟
نظر له طارق متعجباً ثم قال:
- بنعمل ايه؟!
- يعني انت مش عارف يا طارق! قالها له و كأنه يؤنبه، فصمت طارق لوهلة ثم أردف قائلاً:
- بنعمل ايه يعني يا شريف، بنشتغل و نكسب فلوس زينا زي باقي الناس، ربنا كتب لنا رزق زيادة إيه المشكلة! ولا انت السجن غيرك ولا إيه؟!
- لا مش السجن يا طارق، إنت عارف لما بتبعد لفترة عن كل حاجة كنت بتعملها بتبتدي تشوف حاجات مكنتش شايفها قبل كدة، أنا اكتشفت يا طارق ان ربنا كان بيقدملنا فرصة كل يوم عشان نكون كويسين بس احنا كنا مصممين . . كنا مصممين نفسد و نسرق و ننهب و نعمل أي حاجة عشان مصلحتنا، إحنا عايشين من غير مبدأ، صدقني أنا اكتشفت ان السجن أحسن، إحنا شكلنا وحش أوي قدام نفسنا و طول الوقت متداريين في اللبس و العربيات و البيوت، صدقني او عايز تتغير ابعد بص علي

المشهد من بعيد و انت تعرف.
إتسعت عيني طارق و بدا مندهشاً مما سمعه، أيقن أن شريف رضوان قد تغير كلياً و لم يعد كالسابق، لم يجد ما يقوله له فخطر علي باله سؤال لحظي فنظر له و قال:
- إنت نفسك في إيه يا شريف؟
- نفسي اكون بعيد . . أكون في مكان نختلف عن واقعنا . . نفسي في مكان اعمل فيه أي حاجة من غير ما احسب توابعها . . نفسي يكون عندي مبدأ و ميهمنيش شكلي قدام الناس . . نفسي اشوف ليلي و مريم.
- إن كان علي كدة سهلة، أجيبهملك معايا المرة الجاية.
هز رأسه موافقاً و لم يتكلم، ساد الصمت بينهما لحظات قبل أن يُعلن أن الميعاد الحدد للزيارة قد انتهي، إنصرف شريف بعد أن ودع طارق بنظرات عينيه التي كانت تحمل الكثير، سار طارق و هو يفكر في الكلمات التي ألقاها شريف علي مسامعه و يتبين صحتها حتي جاءته مكالمة هاتفية أصرفت ذهنه عن كل شيء و أعادته لواقعه من جديد.

* * * * * *

جلست تفكر حائرة لا تعرف ما ينبغي عليها فعله، فاليوم هو الخميس و عاصم قد اتصل بها صباحاً ليُذكرها بما عقدا من اتفاق، المتبقي من الوقت لم يعد كثيراً، و عاصم سيمر ليصطحبها في

غضون ساعة، و هي لم تحسم الأمر بعد، والدتها كانت بالخارج فلم تجد من تستشره، و بداخلها أحاسيس متضاربة و عقلها لم يتوقف عن التفكير، نهضت فجاةً و اتجهت ناحية الدولاب ففتحته و أخذت تتفحص ملابسها التي اشتاقت للخروج بعيداً عن هذا الصندوق الخشبي المعتم، إختارت ما رأته مناسباً و وضعته أمام المرآه و نظرت باسمةً كالطفلة التي اشترت ثوباً جديداً ليلة العيد، إنتاب قلبها فرحةً عارمة لا تعلم مصدرها، هي كانت تستحق أن تسعد و لو قليلاً.

إرتدت ملابسها في خفة و هي تراقب عقارب الساعة بين الحركة و الأخري، و عندما انتهت وقفت أمام المرآة مستعرضة جمالها و تأنقها و ما أضفي علي وجهها إشراقةً هادئة طبيعية غير مصطنعة، المظهر الخارجي لم يتغير كثيراً و لكن هناك شيئاً داخلياً تبدل، هناك انعكاساً مضيئاً علي كل حواسها لا تعكسه سوي انفراجةً بين ثنايا الروح، المشاهد بدأت تتبدل و ألوان الحياة باتت أكثر ازدهاراً و زهوةً من ذي قبل.

أخذت تتخيل عاصم عندما سيراها هو و البقية و رد فعلهم عندما يرونها، كيف سيكون الإستقبال؟ هل مظهرها لا يزال يبهرهم أم أن عودتها مجدداً ستجذب الإنتباه الأكبر؟ كانت تحاول التخلص من أي شعور سلبي حتي لا تفقد شغفها و لا تنطفيء حماستها، فتخيلت كل ما هو إيجابي و كل ما تريده من

هذا اليوم، إستعادت عبارات إطراء من الذاكرة كانت تلقي عليها كثيراً فابتسمت، أفاقت من تخيلاتها علي صوت هاتفها الذي أصدره مكالمة عاصم معلناً أنه بانتظارها الآن.

كان عائداً من الشركة عندما كان يتفحص بعض عناوين الجرائد و هو يجلس في سيارته خلف السائق، لفت نظره بعض التصريحات التي كانت تطالب بالقبض علي الفاسدين الذين لم يُزج بهم في السجن بعد، المطالب كانت علي لسان المحامية رانيا جودة التي ازداد دوي أحاديثها في الفترة الأخيرة و أصبح إسمها يشكل مصدر قلق لطارق الذي لم يكن يريد أن يتحدث أحد عنه و لو بتلميحات بسيطة، فهو لم يعد يتخيل وضعه إذا حدث له مثل ما حدث لغيره، فهو بعد أن رأي حالة شريف رضوان فلم يعد يحتمل حتي التفكير في هذا الأمر، و تلك المحامية الشجاعة المتمردة لا تنتبه لما تقول و لا تكترث لمن ستصيبهم تصريحاتـها الجريئة، و هو شعر بالضيق من هذا العبث و رأي أن الأمر أصبح عشوائياً لأقصي درجة و ينبغي عليه التدخل بطريقةٍ ما لفض كل هذه الثرثرة التي لن تجلب له إلا المتاعب، فكان من الأصلح بالنسبة له أن يقطع الطريق علي من يتتبعه حتي يتمكن من المضي قدماً دون الإلتفات إلي هذه الترهات التي باتت رائجة و هو لا يريد ذلك.

كان قد وصل إلي بيته فنظر إلي صفحة الجـريدة التي تحمل

صورتها و ألقي بـها إلي داخل السيارة أثناء ما كان يخـرج منها قائلاً:

- طارق أبو النجا غير.

نزلت ببطء و كانت تريد أن تسرع خطواتـها و لكن فضلت التروي حتي تحافظ علي رونقها فخرجت متأنية، كان عاصم واقفاً بالخارج و ما إن رآها حتي ابتسم و ظهرت عليه إيماءات الفرحة للقائها فتقدم نحوها و هو يلقي الترحيب قائلاً:

- لو كنت اعرف ان تليفوني هيجيب نتيجة كنت اتصلت من زمان، إزيك يا ليلي واحشانا؟

نظرت مبتسمة ثم قالت بهدوء:

- أنا تمام الحمد لله، إنتوا فعلاً واحشنّي أكتر.

تركها و سبقها بخطوة ليفتح لها باب السيارة التي كانت بانتظارها أمام مبني المنزل، فهزت له رأسها شاكرة و دخلت السيارة حيث كانت تُلعب موسيقا كلاسيكية قديمة فجلست تنظر للطريق و في الخلفية بيانو موزارت كان يشدو بهدوءٍ و اقتدار، لم يتحدثا كثيراً فكان أغلب ما دار بينهما هو حديث عن الأيام التي غابتها و أحوال الكلية و أشياء من هذا القبيل، و هذا لم يكن يزعجها لأن علاقتها بعاصم لم تكن وطيدة و الحديث بينهما لم يكن يتطرق لأكثر من ذلك فلم يكن هناك اختلافاً ملموساً يستدعي قلقها أو استيائها من تغير شيء لم يعد كسابقه، و لكن قلقها الحقيقي

كان من أن تجد تغيراً مع أصدقائها الحقيقيون، هي تعلم أنها كانت مخطئة عندما ابتعدت و قطعت كل وسائل الإتصال، و لكنها كانت تري أنه مهما حدث فينبغي علي أصدقائها ألا يتغيروا معها لمجرد عدة شهور غابت عنهم فيها، فالعتاب و إن كان حاضراً فمغزاه هو إذابة الخلاف و استحضار أجواء الماضي لإحيائها مجدداً حتي تصفي النفوس و يصير الحاضر كالماضي لا اختلاف، فالأشخاص لم يتغيروا و لم تكن هناك مدة طويلة حتي يتغيروا، فهي لم تعهد منهم سوي طيب المعاملة و السعادة التي تنتابها عند لقائهم فكانت تُطمئن نفسها أثناء الطريق بأن الأصل لا يتغير مهما مرت الأيام و أنها كانت مخطئة عندما ظنت بأصدقائها هذا السوء.

* * * * * *

كانا جالسين في المنزل، عمر التزم غرفته يطالع أحد الكتب التي عكف علي الغوص فيها في الأيام الماضية و خاله كان يشاهد التلفزيون بالخارج بعد أن عادا من عملهما، كان الهدوء سائداً عندما أصدر التلفزيون جرسه المعهود و كان مكانه في الطرقة التي تحوي غرفة عمر فكانت المسافة قليلة بالنسبة لعمر أكثر منها بالنسبة لخاله مما سمح له بأن يرفع السماعة أولاً، فصمت لوهلة ثم قال:

- ألو . . مين؟

سمع في الجهة الأخري صوتاً عشوائياً غير واضحاً فهم أن يضع السماعة مكانها و يغلق الخط و لكن سريعاً أتاه صوت من الجهة الأخري قائلاً:

- عمر إزيك . . أنا رمزي.

فرح عمر و اتسعت ابتسامته ثم رد مرحباً:

- إزيك رمزي واحشنا و الله، إحنا كويسين الحمد لله، المهم انت إيه أخبارك؟

في هذه اللحظة أقبل خاله مسرعاً من الخارج عندما سمع ما يدل علي أن رمزي يتحدث بالتليفون.

أردف رمزي قائلاً:

- أنا بخير الحمد لله، أنا متصل أقولكم إني نازل مصر الإسبوع الجاي إن شاء الله.

- تيجي بالسلامة يا حبيبي، إبقي بلغني هتيجي إمتي بالظبط عشان نجيلك المطار.

- هكلمك أكيد، مش عايزين أي حاجة من لندن، قالها مازحاً فابتسم عمر و ابتسم خاله لابتسامته، ثم استكمل عمر قائلاً:

- عايزينك تيجي بالسلامة بس.

- مع السلامة يا عمر.

أغلق الهاتف عمر و هو مبتسماً ثم أخبر خاله بما تلقي ففرح هو الآخر فرحاً شديداً، ثم قال عمر:

- الخبر الحلو دة فتح نفسي انزل اصطاد النهاردة.
إنفجر خاله ضاحكاً ثم قال:
- كان فينك يا رمزي من زمان.
نظر له عمر بابتسامة و ذهب ليجهز عدة الصيد تحضيراً لاستعادة ليلة حالمة من ليالي الماضي.

* * * * * *

دخلت برفقة عاصم إلي المطعم الذي اتفقا علي أن يلتقيا فيه جميعهم، كانت تعلم أن لا أحد يعلم بمجيئها فتعمدت رسم ابتسامة متواضعة علي وجهها لم تداري من خجلها الذي كان بيّناً إلا القليل،أشار لها عاصم بما يعني أنهم جالسين هناك، و ما إن نظروا إليها فتغيرت ملامحهم تماماً، أحدهم ابتسم و البعض الآخر تجهم و كأنهم يتساءلون من هذه! كانت تتوقع أن يكون رد الفعل موحداً بين الجميع و لكن هذا التباين بين الوجوه زاد من حدة التوتر و بدأت الإبتسامة تختفي شيئاً فشيئاً، خطا عاصم برفقتها نحو الطاولة فألقيا السلام عليهم جميعاً و كان الترحيب الذي لقته ليلي متواضعاً لدرجة تقترب من الإعتياد مقارنةً بشخص لم يقابلهم منذ فترات، تفاجأت بأن الحديث بينها و بين ما كانوا أقرب الناس إليها مقتضباً إلي أبعد الحدود و يشبه لحد كبير الحديث التقليدي المكرر الذي يتبادله الضيوف في الجلسات العائلية، كانت تحدثها إحداهن من باب جبر الخاطر و عدم

الإهمال و إن كان الإشفاق أشد قسوةً من الهجر المطلق، فكانت تنظر إلي ثنائيات الحديث بينهما بحسرةٍ و أسي علي الأمنيات و الآمال التي كانت تبنيها طيلة الأيام الماضية . . علي تخيلاتها التي صنعت من هذا اللقاء مشاهد درامية للأصدقاء الذين يرحبون بخليلهم الذي عاد بعد غياب، كانت تتوقع أنها ستكون محور الحديث و الطرف المشترك في كل حوار، و لكن الحقيقة أنها كانت جالسة كمن يجلس خلف الكاميرا لا يحق له أن يتحدث ولا يفعل أي شيء سوي المشاهدة فقط، لحظات كانت مخيبة للآمال حقاً، ربما هذا اليوم هو أكثر موقف تشعر فيه بالإشفاق علي نفسها و علي كل ابتسامة ابتسمتها و هي تنظر لنفسها في المرآة استعداداً لهذا اليوم، شعرت و كأنهم يتعمدون إظهار الإهمال كعتاباً خفياً علي غيبتها بدون عنوان و ما أقساه عتاباً!
يبدو فعلاً أن للبعد أثراً سحرياً لا يتعلق بكون الأشخاص مخلصون أم لا، هناك حقيقة راسخة و هي أن الحياة تواصل سيرها دائماً و لا تقف علي ابتعاد شخصٍ مهما كان، أدركت الآن أنها عندما ابتعدت و فشلت كل محاولات الوصول إليها أصبح لأصدقائها المقربين آخرون أكثر قرباً و أشد ألفةً، باتت بينهم اهتمامات مشتركة كثيرة، يقابلون بعضهم يومياً و جمعتهم الكثير من المواقف التي كانت مصدر سرور لحاضرهم و ذكري جميلة في ماضيهم، إعتادا علي عيوب ومميزات بعضهم فصاروا أصدقاء

بكل ما تشتمل عليه الكلمة من تفاصيل، أما هي فلم يعد أحد يذكر ما كانت تحبه أو تكرهه . . مميزاتها أو عيوبها . . الأشياء المفضلة لديها . . المشروب المفضل لها، لم يعد أحد يذكرها و أصبحت في طي النسيان كصديق ابتعد منذ سنوات و قد جاء إلينا الآن، فبأي وداعٍ ذهبت حتي تنتظر ترحيباً.

إشتد عليها الضيق و لم تحتمل الأمر أكثر من ذلك فاتخذت قراراً بالرحيل قبل أن تنفجر عينيها التي امتلأتا دموعاً، فهمست لعاصم الذي كان يجلس بجانبها بأنها سترحل، حاول أن يقنعها بالبقاء قليلاً فرفضت بحجة أنها ينبغي أن تذهب لأن لديها اجتماعاً في الصباح، فلما رأي إصرارها قام ليعرض عليها أن يوصلها فامتنعت أشد الإمتناع فلم يجد لمحاولاته فائدةً، ودعت الجميع وداع الغرباء فلم يكترث أحد لرحيلها بل لم يكن ينتبه البعض لجلوسها من الأساس، قررت أن تسير وحدها قليلاً تستنشق بعض الهواء النقي أو تترك مساراً علي وجنتيها لبعض قطرات الدموع التي قاربت علي أن تفيض، تركت لقدميها حرية الإختيار إلي أين ستسير و مضت.

خرج من المنزل يحمل عدة الصيد وهو سعيد، كان ذاهباً و كأنه في الطريق إلي موعداً غرامياً أو شيء كهذا، كان يسير بسرعة كالطفل الذي جاء مهرولاً عندما رأي والده يلوح له من بعيد، سعادته عندما يفعل ما يحب لم تكن لتوصف بكلمات، الصيد كان جزئاً

منه اقتطعه شغفٌ مصطنع بعمله الذي يمقته حتي يحقق شيئاً، فكان يشتاق حقاً إلي وقوفه مستنداً علي حافة السور مراقباً المياه في ترقب لا يعنيه مدته كم سيطول أو يقصر، كان يسير في طريق جانبي اعتاد أن يسلكه ثم ينعطف يميناً عند آخره فتكون نقطة الوصول، كان الطريق خالياً بعض الشيء من المارة عندما سمع همساً إقترب من أن يكون صوتاً يناديه قائلاً:

- عمر !

أصابته دهشة و توقف عن السير لحظات ثم التف ببطء ليري من يناديه فكانت هي، واقفة بين شجرتين كانتا مثبتتين علي جانبي الطريق، لم يستطع أن ينطق بشيء فوقف متصلباً تاركاً لها المساحة كي تعبر عن حقيقة ما يجري، نظرت له مبتسمة عندما رآته ناظراً إليها ثم قالت:

- إنت اتفاجئت ليه لما شفتني، علي فكرة أنا زعلانة منك عشان كنا متفقين نتقابل و مكلمتنيش.

لا يزال مندهشاً فجاهد نفسه علي الحديث و أردف قائلاً:

- إنتي جيتي هنا ازاي ؟!

- عادي كنت ماشية و شفتك، مبتسمعش عن الناس اللي بتتقابل صدفة!

هز رأسه محاولاً طمئنة نفسه المتعجبة فاستكملت هي قائلة:

- تعالا فيه كافيتيريا قريبة هتعجبك أوي انا بقعد هناك علي طول.

إقتربت نحوه و سارت ليسير بجانبها محاولاً أن يعقل ماذا يجري و ماذا الذي تريده منه تلك الفتاة، كان صامتاً فحاولت هي أن تخلق سبلاً للحديث فقطعت الصمت قائلة:

- هو انت كنت رايح فين؟

أجاب في بلاهة:

- رايح اصطاد.

إندهشت و بدا علي وجهها ما يبدو ليظهر الإعجاب، فاستكملت قائلة:

- إنت بتعمل كدة من إمتي؟

- لأ من زمان.

- موهوب يعني، قالتها و هي تنظر له و تبتسم فابتسم هو الآخر و عاد الصمت مجدداً حتي وصلا إلي المكان الذي كانت تقصده فدخلت و كأنها بالفعل تذهب كثيراً لهذا المكان بما أبدته من اعتياداً لكل شيء بالداخل، أما عمر فقد بدأ يندمج في الأجواء قليلاً فكان بداخله سؤال يريد أن يطرحه فوجدها بادرت بالحديث قائلة:

- أنا عارفة انك نفسك تسألني أنا عايزة منك إيه، بس الحقيقة انا مش عايزة منك أي حاجة، أنا بس حسيت انك شبهي بشكل أو بآخر فا كان نفسي نكون أصدقاء.

- طب و عرفتي منين إن انا شبهك و احنا متكلمناش!

أردف بسرعة قائلة:
- حسيت، علي فكرة انا كنت ماشية وراك من بداية الطريق، تعرف انك بتمشي زيي بالظبط؟ و انت قدامي كنت حاسة انك ظل ليا.
صمت لوهلة ثم هم ليقول شيئاً فسبقته هي قائلة:
- هو انت بتعمل ايه في حياتك غير الصيد؟
- بشتغل محامي.
- بس؟!
- بس إزاي؟
- يعني مش بتعمل حاجة تاني في حياتك؟ قالتها متعجبة.
إفتعل تبلداً و أجاب قائلاً:
- إيه تاني المفروض يتعمل؟
- تقابل ناس . . تروح سينما . . تتجوز . . تسافر تعيش الحياة شوية، بس انت تعرف شكلك بتحب تنعزل عن الناس.
- مين قالك كدة؟
- هوايتك، الصيد هواية المنعزلين.
نظر لها ضاحكاً و بدا و كأن قلبه استمال للحديث ثم أردف قائلاً:
- بس انتي ليه بتقولي ان انا مش عايش حياتي؟ عرفتي منين اني مش بعمل كل الحاجات دي؟
- هو انت مش شايف شكلك ولا إيه؟! وشك مليان تجاعيد و

عينك راكدة كأنها من إزاز، دة انا لما ناديتلك فضلت متنح كأنك شفت عفريت.
إبتسم و لم يجد ما يقوله اعتـرافاً بصحة ما تقوله، قامت من جلستها فرفع يده متسائلاً و هو يقول:
- علي فين ؟!
- تعالي بس معايا
خرجت و إياه و سارت به إلي مكان ما يقف ليصطاد، ثم ذهبت به إلي أماكن لم يرتادها من قبل، شوارع و أزقة كان يراها من الخارج و لم يفكر أن يدخلها، كانت تسير به و كأنها تعيد اكتشافه من جديد، لم يشغل باله بالتفكير ملياً فكان يسير خلفها كالطفل الذي خرج للشارع أخيراً، تلك الليلة كانت الشوارع غير ممتلئة و الأضواء كانت متلألأة أكثر من أي ليلة مضت، كانت إذا رأت شيئاً جميلاً تنظر له و عيناها تفيض بالسرور فيبتسم قلبه الذي لم يدق في ليالٍ سابقة كتلك الليلة، شعر و كأنه لأول مرة يتذوق الحياة . . أدرك أن هناك معاني أخري للأشياء لم يكن يفهمها، لم يكن يتخيل أنه في يومٍ من الأيام سيأتي أحد يشاركه الحياة هكذا، ماذا تحوي تلك الفتاة بقلبها لكي تبقي مفعمة بالطاقة و الأمل هكذا؟ إكتشف من خلالها جوانب عديدة في شخصيته لم يكن يعرفها، كان دائماً يدعي أنه غير آهل للسير وسط الزحام أو الإختلاط بالناس و ارتياد الأماكن الصاخبة، و لكنه عندما فعل

ذلك كان سعيداً، ربما لم تكن سعادةً مطلقة و لكنها كانت تجربة جميلة غير سيئة علي الإطلاق، إنه من الجيد أن تجد من يشاركك كل شيء بتلقائية غير متكلفة، الحياة أحياناً تتطلب قدراً من الجنون، السعادة تأتي دائماً في تلك اللحظات التي يتصرف فيها المرء بعفوية.

كانت ليلة ساحرة قضاها عمر و لم يكن لها مثيلاً في حياته، عندما تركته و رحلت أدرك احتياجه لمثل تلك الشخصيات في حياته، لم تقل له إسمها أو أين تسكن أو أي تفاصيل عنها و كأن القدر أرسل له نموذجاً لما يجب أن يكون عليه أو علي الأقل لما يجب أن يكون موجوداً في حياته.

* * * * * *

- ربما كان من الخطأ أن نبحث في هذه الدنيا عن معني بينما أن مهمتنا الأولي أن نخلق هذا المعني. -

- نجيب محفوظ

الفصل التاسع

كان الصباح في بداياته، وقفت العصافير تزقزق مرحبة باليوم الجديد و أشعة الشمس تتخلل الثقوب بين ثنايا النوافذ لتعبر بالنور إلي كل ما أظلمه الليل، كانت تعرف من خلالها أن الصباح قد طل و ميعاد الإستيقاظ قد حان، إستيقظت مبكراً اليوم عن عمد لأن طارق قد اتفق معها هي و والدتها علي مرافقته الزيارة القادمة بناءً علي طلب شريف رضوان، فلم تكن متحمسة كثيراً علي عكس والدتها التي بدت و كأنها كانت تنتظر ذلك، كانت تشعر بالفتور تجاه تلك الرحلة . . شيء ما يحثها علي عدم الذهاب، بالفعل لم تكن تريد أن تذهب إلي أي مكان و لكن اعتراضها تلك المرة كان سيبدو سخيفاً و غير مبرر فلم تبد أي فتور و بدت مستعدة للرحيل بانتظار طارق.

كانت تفكر في رد فعلها عندما تقابله و عن شكل تصرفها و عن شكله هو أيضاً بعدما قضي كل هذه الفترة بعيداً عن ألوان الرفاهية التي ألفها أعواماً، كانت تخشي أن يكون حاله قد تبدل و أن يري في عينيها نظرات الشفقة و الأسي، فهي لم تكن تتمني

أبداً أن يظهر أحد أمامها في موقف الضعيف الذي سلبته الحياة قوته.
وصل طارق و خرجت من المنزل هي و والدتها للرحيل، كانت قد لاحظت أن طارق في الأيام الأخيرة قد تغير قليلاً، لم تجد في حديثه نبرات الكبرياء و الإستعلاء التي اعتادت عليها منه، فقد صار شخصاً يبدو رقيقاً و هو يسعي جاهداً في أن يتغير بعض الشيء.
ركبا السيارة فجلست والدتها بجانبه و جلست ليلي في الخلف، كان الطريق خالياً من المارة في تلك الساعة و مع ذلك فلم يتحدث طارق إلا قليلاً - علي غير عادته - طوال الطريق، كانت كلماته في أضيق الحدود و كأنه أراد أن يظهر ذلك، و لكنها أثناء الطريق كانت تنظر في المرآة الأمامية و تختلس بعض النظرات حيث كان وجهه باهتاً قليلاً و عينيه تبدو مرهقة و لم تنم منذ أيام، لم تفضل أن تبدأ الحديث بموضوعٍ ما حتي تظل محافظةً علي الحدود التي وضعتها بينها و بين طارق فكانت تخشي من أن تقوم بأي حركة عشوائية تفسد ما بنته و تدخل لأساريره أوهاماً بأنها تريد التقرب أو التودد فحافظت علي وقارها حتي وصلا إلي مكان السجن، طارق كان يبدو معروفاً بالداخل مما أكد لها المدي الكبير الذي وصلت له علاقاته المتشعبة، كان طارق يسير في الأمام و تسير خلفه ليلي و والدتها حتي وصلا إلي مكتب المأمور فألقي عليه طارق السلام و أخبره بالسبب الذي أتوا من

أجله فتغير وجه المأمور قليلاً و صمت لوهلة ثم نظر في وجه طارق مباشرةً و قال في حدة:

- المسجون شريف رضوان لقوه منتحر امبارح بالليل و اتنقل النهاردة الصبح المشرحة.

كانت جملة أقوي من أي شيء، تأتي كالعادة في اللحظة التي لا يري فيها أحد احتمال حدوثها، الصدمة تكون في المفاجأة و عدم توقع حدوث مثل هذا الشيء علي الإطلاق، الموت هو الحقيقة الوحيدة التي نؤمن بها جميعنا و لكنها تأتي دائماً في ثوب المفاجأة الصادمة.

إنهارت والدتها و أجهشت بالبكاء، طارق تحلي بالثبات و بدأ يسأل المأمور عن طريقة الإنتحار و مكان المشرحة، أما ليلي فخرجت مسرعةً للخارج حيث كانت هناك طرقة طويلة ممتدة فجلست علي إحدي المقاعد التي كانت خالية جميعها و بدأت تسقط قطرات الدموع علي وجهها، في تلك اللحظة نسيت كل ما رأته سيئاً من هذا الرجل و تجلي أمامها المناسبات الجيدة التي حدثت بينهما، كانت حزينة علي وفاة تلك الذكريات القليلة و علي رؤيته للمرة الأخيرة التي لم تتسني لها و علي أملها في أن يصير شخصاً أفضل.

كان مشهداً قصيراً رأت فيه حقيقة الإنسان الضعيف الذي لا يقوي علي أي شيء أبداً، لم يكن أحد يتخيل أن يسقط مُلك

شريف رضوان و تتدهور حالته هكذا و يموت منتحراً في غضون أشهرٍ معدودة، فما أصعب قسوة هذه الحياة التي لا تعطي أحداً بلا مقابل، دائماً هناك اختبار، سيل الأموال و المناصب الرفيعة لا يأتي بمحض الصدفة أبداً و إنما يأتي ابتلائاً من الله لعباده الواهنين. الصدمة التي استقبلتها عادت بها خطوات عديدة للوراء بعد أن كانت بدأت تتحسن قليلاً، خرجت لها والدتها التي كانت حزينة حقاً علي فقدان من كانت تستند إليه في الحياة، كانت نظراتها تحمل ضعفاً و خوفاً مما هو آتٍ فجلست بجانب ليلي و وضعت رأسها علي كتفها و أخذت كل منهما تهديء الأخري في صمتٍ بليغ و اندهاشٍ كبير.

* * * * * *

كان عمر و خاله في الطريق إلي مطار القاهرة لاستقبال رمزي الذي قد أخبرهم سلفاً بموعد وصوله، كانا متحمسين لرؤية هذا الشاب الذي قضي ما يقرب من خمس سنوات بعيد عنهم منذ أن كان في مصر في آخر إجازة له، كان عمر يشفق أحياناً علي رمزي لتغربه وحيداً، خاصةً و أن رمزي لم يكن يرغب بالزواج و الإرتباط، كان يجد الراحة في كونه بعيداً عن أي ضغوط أو مسئوليات ضخمة يحملها له الزواج، و بالرغم من أن عمر كان من هواة السفر و كان يرغب في أن يخوض تجربة مماثلة إلي أن فكرة العيش بمفرده كانت تؤرقه و هي ما ساهمت في تأجيل

قرار السفر مع رمزي حينما قرر الأخير ذلك منذ أعوام، و لكن عمر كان يختلف مع رمزي في قضية الزواج تلك، بالرغم من أن عمر كان يكره المسئوليات و بشدة و لكنه لم ينكر من حقيقة وجوب وجودها، بل و إنه أحياناً كان يري هذا خطأً في معتقداته حيث أن المسئوليات هي من تصنع للحياة معني و هي ما تبرز قيمة وجود الإنسان، من خلال انفتاحه علي قراءات عدة في الفترة الأخيرة بدأت الكثير من أفكاره في السقوط، فرأي أنه من الجيد أن يكون هناك شيء يعمل و يبذل المجهود من أجله حتي و لو كان شيئاً طفيفاً فإنه يوجد معني لما ينتجه كإنسان، فلا معني للأموال التي يكسبها لينفقها كلها علي ألواناً من الرفاهية و الترفيه كالذهاب للسينما أو التنزه، فإن هذا شيء مطلوب بلا شك و لكن من المهم أن يكون في حياة الفرد شيء يعمل لأجله و يستيقظ يومياً لأجله كهدف عظيم أو تربية أبناء أو درجة علمية، فهذا هو الأساس الذي تبني عليه الحياة و تأتي باقي الأشياء الثانوية بجانبه، كان يكره أن يجلس في السيارة لمدة طويلة، فدائماً ما يجد نفسه تذهب به إلي موضوعات و أشخاص بعيدة كل البعد عن السبب الذي أتي به إلي السيارة من الأساس، تلك الفتاة التي اقتحمت حياته أجمل اقتحام لا زالت تعبث بعقله، فقد قرأ في علم النفس أن الشخص الذي يتحدث بصورة سريعة يكون حزيناً في حياته، و هو كان علي يقين أن تلك الفتاة ورائها سرٌ ما لابد أن

ينكشف، من المؤكد أنه لا يوجد مثلها الكثير، و كأنها كانت خيالاً تحلي بالواقعية قليلاً فتجلت له واضحة المعالـم، لم تخبره عن إسمها أو عمرها أو أين تسكن، أسئلة بديهية يعرفها الأشخاص عن بعضهم عندما يبدأ التعارف، و لكن الغريب أن مثل تلك الأسئلة لم تأتي إلي ذهنه و هو أمامها، كان مهووساً بما يري من فتاة تتحدث سريعاً و بطلاقة و علي وجهها ابتسامة لا تنطفيء أبداً و نبرتها صاخبة و كثيرة الحركة، حالة من العشوائية المحاطة بالجمال تتملكه عندما يراها فلا يتبادر لذهنه أي شيء تقليدي أو مُتبع، و إنما يخطر علي باله أشياء غير اعتيادية كالسير عشوائياً و الدخول في أماكن لم يسبق له ارتيادها، التحدث إلي غرباء لا يعرفونه و الضحك بصوتٍ عالٍ، كان كل ما يشغله و هو معها هو الخروج عن كل ما ألفه و اجتياز الحواجز المنيعة التي اعتادها في شخصيته، في تلك الفترة القصيرة صار مولعاً بها و بدأت تسكن قلبه بعض الشيء، هي كانت بوابة لحياةٍ لم يعشها من قبل، جاءته عندما بدأ في أن يدرك قيمته و المغزي من وجوده فكانت كشعاع ضوءٍ انساب ليزيد القمر تماماً.

* * * * * *

كانت تطالع الأخبار في الصباح كعادتها و هي في طريقها لعملها في الجريدة، توقفت عند خبر انتحار شريف رضوان و تمهلت قليلاً، هذا الخبر يعني أن القضية قد انتهت و بالتالي تغطيتها الصحافية

قد انتهت بانتهائها، هذا يعني أنها ستذهب للجريدة لتسلم مهامٍ جديدة و ضغوط جديدة و يتوالي السير في الدائرة المغلقة، فكرت أن تفعل شيئاً مختلفاً تماماً، أن تنهي عملها و تترك القلق و الضغط و التوقعات المرتفعة و الأماني المطمئة، أن تبدأ حياتها من جديد بعيداً عن الفساد و العشوائية و الإبتذال، كان الغريب بالنسبة لها أنها اتخذت قراراً من أصعب القرارات التي يمكن أن تفكر بها بمنتهي السهولة، دارين كانت تعشق العمل الصحافي و الإعلامي، كانت مجتهدة و مثابرة و عملية لأقصي الحدود، و لكنها فقدت شغفها تجاه ما كانت تحب، عندما تخلصت من تحمس الشباب و الإقدام المتوالي علي كل شيء و بدأت التفكير في الأمور بشيءٍ من الحكمة وجدت أنها لا تزاول العمل الذي كانت تحبه و الذي كانت تتمني أن تزاوله، وجدت نفسها تعمل لصالح أشخاص و ليس لصالح نفسها و الحياة أقصر من أن تعمل لمصلحة أحد و تهمل نفسها و رغباتها، الأمور المادية لم تكن تعنيها إطلاقاً، فهدوء العقل و إشباع رغبات النفس المُهملة أكبر من أي شيء، توقفت في الطريق و كانت أمامها بوابة المبني الذي يحوي مكتب الجريدة فنظرت نظرةً أخيرة و التفت راحلة.

وقف عمر و خاله بانتظار رمزي الذي بات وصوله وشيكاً، كانا يراقبان العائدين من السفر و ذويهم الذي يقفون بانتظارهم متشوقين لرؤيتهم في تأهب و ترقب، كان يراقب الجميع و

يتمعن في وجوههم، فكان مؤثراً بالنسبة له أن يري فرحة بعض الجماهير التي تجمعت لاستقبال بطلاً رياضياً تبين من الحديث أنها فتاة حصلت علي ميدالية أوليمبية، لذا احتشدت الوفود لتكريمها و الترحيب بها، هدأت أصواتهم ثم تعالت ثانيةً مما دل علي أنها وصلت فخرجت إليهم فصاحوا مهللين، كانت فتاة طويلة القامة، ملامحها بشوشة و بدا عليها الخجل و عدم اعتياد مثل هذه المواقف، فوقفت قليلاً تتلقي التحية و باقات الورود و عينيها مرقرقة بالدموع حتي رحلت، كان مشهداً مؤثراً حقاً، أن تشعر بأنك إنسان ذو قيمة قد حققت شيئاً في الحياة يُذكر الناس بك و يكسبك فخراً و رضاءً عن نفسك لن تجد له مثيلاً.

لحظات و بدأت مجموعة من الناس تتوافد للخارج، كان من بينهم رمزي، لم يتغير كثيراً فكان طويل القامة وجهه أبيض و شعره غير كثيف، كان من الأشخاص الذين يعتنون بمظهرهم، كان مظهره ينم عن شخص أنيق سمح الوجه و ابتسامته مشرقة، ما إن رآهم فأزال نظارته الشمسية و اتسعت ابتسامته و أقبل عليهم مسرعاً، عانق كل منهما الآخر في مناخ عائلي صافي و اتجها في طريق العودة للمنزل.

في طريقهم للخارج كان رمزي و الدكتور عبد العزيز منهمكين في الحديث، كان عمر يسير خلفهم بخطوة و كانت الشمس قوية فكان مُركز بصره لأسفل، رفع عينيه قليلاً فوجدها واقفة بعيداً و

تنظر له، كان واثقاً من أنها هي بشعرها القصير الذي لم يتخطي رقبتها و وجهها ذو البشرة القمحية بتفاصيله الصغيرة و المهندمة، لاحت له بارزةً دون كل الموجودين، إصطنع عدم رؤيتها فكان يخشي أن تتقدم نحوه أو أن تلفظ إسمه فينتابه الحرج و الضيق، فهي فرصة لم تكن مناسبة إطلاقاً لتقديـم معارف جديدة أو اصطحابـها لأي مكان، و هي شخصية لم تكن ردود أفعالـها متوقعة، فخشي أن يجعلها تتعرف علي رمزي أو خاله فتقوم بأي تصرف عشوائي –و هي علي طبيعتها- يسبب له الحرج أو يغير انطباعهم عنه بأنه شخص جاد لم يعُرف عنه أنه ينغمس مع أشخاص مقبلين علي الحياة و الصخب مثلها، فكانت كل الطرق تؤدي إلي عدم الإلتفات لها و اعتبارها غير موجودة، حتي يهون الأمر علي نفسه اتخذ خطوة للأمام و اقتحم الحديث بينهما و شاركهم فيه حتي ساروا للخارج و لحسن حظه لم يحدث ما كان يخشاه.

* * * * * *

بعد أن أوصل ليلي و والدتها لمنزلهم سار بسيارته قاصداً مكاناً بعيداً و خالياً من المارة، وجد ما كان يقصده بعيداً عن الإزدحام، و ما إن انفرد بنفسه فانفجر في البكاء، كان بكاءاً هستيرياً و حالة انفجار كبح جماحها منذ أن تلقي الخبر حتي يحافظ علي هدوئه و علي وقار مظهره المعهود، كان حزيناً علي صديقه و علي النهاية

التي آل إليها و لم يكن يتوقعها، كان يتمني لو كان يعلم أنه عندما التقاه آخر مرة كان هذا هو اللقاء الأخير، لم يعرف ما كان سيفعله حينها و لكن من المؤكد أنه كان سيعانقه طويلاً أو سيحدثه عن شيء مضحك يُدخل لسريرته الظلماء بصيصاً من السرور المهجور، كان حزيناً و لم يكن يتوقع أنه سيحزن هكذا، لم يكن يعرف أن بداخل شخصيته اللامعة و مظهره الـمهيب إنساناً عادياً يحزن و يبكي كالأطفال مثله كمثل بقية البشر، برغم ذكاؤه و عبقريته الفذه فلم يسعفه شيئاً منهما لأن يدرك أن شريف كان ينظر له آخر نظرة أو أنه يُحدثه بآخر كلمات، دائماً لا يدرك أحد هذا و لا يتوقعه، و كأن الموت شخص ينتظر أن تغفل عنه حتـي يأتيك مُفاجئاً، و من أكثـر أنواع الندم شقاءً هو ذلك الذي يصاحب إدراكك لقيمة ما فقدت، فطارق الآن لا يري أمامه سوي كل جـميل في شريف و كل ما سيفتقده فيه و في وجوده، وفاة شريف رضوان ألقت بأثرٍ عظيم علي طارق الذي بدأ في أن يعتبر بـما رأي و أن يسلك طريقاً جديداً.

بعد أن قضت وقتاً طويلاً و هي تهون علي والدتـها و عليها ألـم الفراق الذي ألـم بـهم دخلت غرفتها لنيل قسطاً من الراحة و قد كانت بحاجةٍ إليها أكثر من أي أحد، فهي لـم تصفي نفسها من الصدمة التي تلقتها من أصدقائها حتي تلقت أخري في غضون أيام، أحياناً تشفق علي نفسها كثيراً و علي حالتها التـي ابتُليت

بعدم الإستقرار، فهي قضت فتـرة مليئة بالسعادة و الأمل في المستقبل بأن يكون إيجابياً، حقيقةً هي لم تفيق بعد مـما تلقته من أصدقائها و من مقابلتهم الباردة و لكن خبر وفاة زوج والدتها قد ألهاها قليلاً و شغل عقلها عن التفكير في هذا الأمـر، كانت تنظر لوالدتـها و هي مشفقة علي تلك المسكينة التـي لم تنل في حياتـها من الراحة إلا قليلاً، حزنـها كان صادقاً و لا يمكن أن يبدو بغير ذلك، فقد فقدت من أعاد لـها بيتاً و دفئاً و احتواءً من جديد، برغم قسوته و معاملته الـجافة فهي لم تنسي أنه أحبها بصدق، أحبها و هي تـأتي له بطفلةٍ تستهلك جزءاً مما يمكن أن تقدمه له، لم يعنيه كل هذا لأنه هو الآخر كان بـحاجة لمن يساعده و يقف بـجانبه، برغم أنه كان ناجحاً فإنه لم يكن ليتقدم خطوةً بدونها، كان وجوده مؤثراً في حياتـها كما كان لها من تأثيرٍ في حياته، فكانت دموعها تهبط غالية و هي تودع ما كان يمنحها كل شيء.

أما ليلي فلم تشعر بأنـها فقدت وجوداً عظيماً، كانت متأثرة بالصدمة أكثر من أي شيءٍ آخر، ربـما الحزن الذي أحاط بـها كان إشفاقاً علي حال والدتـها و مواساةً لـها، فربـما انتهاء هذه القضية و الأحاديث حولـها سيفتح لـها باباً من أبواب العودة لـما كانت عليه في السابق، و لكن هذه المرة ستعود وحيدةً كما ابتعدت، كان تشعر أحياناً بأن الحياة أعطتها فرصةً لتكون

أفضل و أن ما قابلته لم يكن سوي تـحديات قليلة كان لزاماً عليها مواجهتها حتـي تدرك ما لا يمكن لغيرها أن يدركه، لم تنفرد بنفسها كثيراً لأن الأهل و الأقارب قد وصلوا ليقدموا واجب العزاء فكان عليها أن تؤجل التفكير الآن علي أمل أن تتطرق له لاحقاً.

* * * * * *

كان رمزي جالساً بصحبة عمر و خاله بعد الغداء في الشرفة بعد ما أصبح شريكهما الجديد في تلك الجلسة المقدسة، كان يروي لهم حكايات و مواقف تعرض لها في سفره و كيف أن هناك أموراً كثيرة تغيرت عما كانت عليه في الماضي، كان يحدثهم عن أحواله هناك و التي أصبحت مستقرة إلي حد كبير و لمح إلي احتياجه لمن يساعده في عمله من الأشخاص المقربين محل الثقة، كان أثناء حديثه ينظر لعمر الذي كان صامتاً بشكل غريب علي غير عادته، صمت رمزي قليلاً فا قام عمر معتذراً ليجري مكالمة هامة، أثناء ما كان يدلف للداخل وجد بعض الجرائد ملقاه علي أحد الكراسي و التي كان خاله اشتراها أثناء عودتهم من المطار، فوقعت عينه علي الصفحة الأولي و التي كان يتصدرها خبر انتحار شريف رضوان، وقف مندهشاً و متعجباً، لماذا لم يأتيه الخبر من المكتب خاصةً و أنه هو المحامي المسئول عن هذه القضية؟ لم يكن يعرف ما كان ينبغي أن يعتليه من شعور، هل يفرح لأنه سيرتاح من تلك المعضلة المعقدة؟ أم يحزن لأنه قد بذل مجهوداً

كان يجب أن يُقدر بطريقة ما؟

نظر رمزي إلي خاله متسائلاً عن حال عمر و أنه يبدو متغيراً عن آخر مرة رآه فيها، فأخبره خاله عن القضية التي تسلمها و أيد رأيه بأنه هو الآخر يشعر بتغيرات عديدة قد طرأت عليه، فأصبح يجلس وحيداً طوال الوقت يقرأ و يتعمق في مجالات معقدة لم يسبق له ارتيادها، أصبح حديثه لبقاً و مليئاً بالمصطلحات المركبة التي تأتي في غير لازمة لها، طبعه بات حاداً و جاداً و ثغره اعتاد علي البوح بكلمات قاسية لم يألف سماعها منه من قبل، بدا عليه أنه يواعد إحدي الفتيات خفيةً متعمداً ألا يخبره، أخبره أنه أصبح قلقاً عليه خصوصاً و أنه كان يعلم أن هذه التغيرات من الناحية العلمية لا تأتي هباءً و لكنها تعني شيئاً ما سيسعي الدكتور عبد العزيز إلي أن يدركه لاحقاً.

* * * * * *

- عند رحيلك عن هذا العالـم لن تأخذ معك ما كسبته، بل ستأخذ فقط ما أعطيته. -

- القديس فرنسيس الأسيزي

الفصل الأخيـر

بعد مرور فترة لا بأس بها بدأ طارق ينسي وفاة شريف رضوان شيئاً فشيئاً، بدأ طارق في إجراءات تصفية أعمال شركته العملاقة و التوقف عن أعماله التي بدأها من قبل، قرر أن يبدأ من جديد علي صفحةٍ بيضاء لا يشوبها رشوة أو فساد أو اختلاس أو سرقة، ذكاؤه كان مؤهلاً ليدرك كل شيءٍ مبكراً و يعتبر بمصير غيره، كان قد اتخذ قرارات عدة في الفترة الأخيرة منها التخلص من تلك الصحافية التي تتحدث عنه دائماً - رانيا جودة - بعبارات لاذعة، لم تكن هي المرة الأولي التي يفعلها، فقد فعلها كثيراً دون أن ينكشف أمره لحسن حظه، و لكنه تراجع تلك المرة، فقد وجد أنها موظفة مجتهدة تحاول القيام بعملها علي أكمل وجه دون أن يعنيها من تذكر أسماؤهم أو من تتحدث عنهم، تلك الفترة كانت عصيبة علي طارق و غير سهلة، كان بحاجة إلي العون من شخص ما يعرفه لشخصه و ليس سعياً إلي مصلحة أو هدف ما، و لكنه للأسف اكتشف أن كل معارفه ليسوا كذلك، مشكلة الناجحين أنهم لا يستطيعون تحديد الصادقون ممن هم ملتفين

حولهم، كان يريد أن يجلس بصحبة من لا يجد حرجاً في التحدث عن عيوبه و كوارثه أمامه، شخصاً يكمل معه الطريق الصعب الذي يسلكه وحيداً منذ البداية، للحظة ما جاءه خاطراً مضيئاً يحمل صورة ليلي أمامه، حلم حياته الوحيد الذي لم يستطع تحقيقه، النقطة المشرقة في سجل باهت من العلاقات، الشخص الوحيد الذي يجعل عقله يتوقف عن التفكير و قلبه ينبض مزدهراً بالحياة، كان بحاجة إليها الآن أكثر من أي وقتٍ مضي، لم يستغرق في الحالة الحالمة التي انتابته بذكرها كثيراً لأنه تذكر معاملتها الجافة له و الصورة التي تراه بها كشخص حقير و فاسد لا يرتقي لأن يكون في دائرة علاقاتها المنقحة، إنطفئت حماسته مجدداً و عاد من خياله المشرق بـها إلي واقعه المظلم وحده، فكر في أن يكسر كبرياؤه الشامخ و يعرض عليها الأمر مجدداً متجاهلاً في ذلك ما يمكن أن يلقاه من عبارات جافة تزيد بأسه ظلمةً، فقرر أن يتحدث معها و يلقي إليها كل ما بداخله، ما أراد أن يبوح به منذ زمن لعل كلماته تكون كافية لهدم الجدار الصلب القائم بينهما، علي غير عادته تردد قليلاً ثم أمسك بـهاتفه و بحث عن إسـمها و ضغط إتصال . .

إستيقظ من النوم مبكراً دون منبه كما اعتاد في الفترة الأخيرة، دقق نظره للخارج فوجد شعاعاً من ضوء الشمس يسري و يلقي الصباح علي كل ما يقابله، تبين أن هناك من يجلس في الشرفة،

فنهض و اتجه للخارج فوجد رمزي جالساً وحده ينظر فيما حوله و علي وجهه إبتسامة متواضعة، فابتسم عمر عندما رآه و ألقي عليه السلام قائلاً:

- صباح الخير يا رمزي، هما الإنجليز علموك تصحي بدري ولا إيه! قالها مازحاً، فنظر إليه رمزي و بدا سعيداً لوجود من يشاركه تلك اللحظات و قال:

- الإنجليز غيروني يا بن خالتي، قالها ملقياً ضحكة مسموعة.

إبتسم عمر و ارتمي بجسده علي الكرسي المجاور، كان مزاجه رائقاً فألحت عليه عبارات المداعبة الهزلية فالتفت لرمزي ساخراً و هو يقول:

- يعني انت كل السنين دي معرفتش تتجوز و تجيبلنا عيال حلوة زي امهم.

نظر رمزي أمامه و قال بنبرة جادة بعض الشيء:

- مكنش من أهدافي الجواز وقتها، كان كل همي أحسن وضعي بأي شكل، و خلي بالك الناس هناك عمليين جداً مش بتوع over رومانسية زي ما بنشوف في الأفلام.

هز عمر رأسه موافقاً و ساد الصمت عدة دقائق فأردف رمزي قائلاً:

- طب وانت؟

- أنا إيه؟!

- ليه لسة متجوزتش لحد دلوقتي؟
إبتسم عمر ابتسامةً مستنكرة ثم قال:
- عارف يا رمزي، أنا ممكن أكون بشوف نفسي شخص كويس زي أي حد ما بيشوف نفسه، لكن المشكلة ان عشان الناس تشوفك كدة لازم تظهر كويس حتي لو انت مش كويس، و الجواز مش واحدة هحبها و خلاص، يا رمزي أنا شخص فاشل محققتش أي حاجة ف حياتي، مجرد محامي غلبان الصبح و صياد سرحان بالليل، و انا مرتبي مش كفاية لأي حاجة و شوية السمك مبيفتحوش بيوت غير في الحواديت بس.
بدا رمزي مشفقاً عليه من سؤاله الذي بدل مزاجه و قلبه رأساً علي عقب في حين أن عمر بدا متبلداً من المشاعر و كأنه اعتاد علي مثل هذا الأسي الذي يتخلل كل لحظات الهدوء الجميلة بقصد و بغير قصد.
حاول رمزي أن يلطف الأجواء قليلاً فسأله عما إذا كان عمر سيذهب للمكتب اليوم لأنه يريد أن يحصل علي بعض الإستشارات القانونية المتعلقة بنقل تجارته من لندن إلي القاهرة، الأمر الذي لم يكن من اختصاص عمر قانونياً فنصحه بأن يذهب للمكتب ليتلقي الإستشارة سليمةً.
كان مرتبكاً كالمراهق الذي يطلب من زميلته قلماً متخذاً في ذلك سبيلاً لإجراء حديثاً معها يحقق له قدراً من أماني الوصال، فلم

يعتاد نفسه هكذا، سريعاً إستعاد هيبته و شموخه و ثقته بنفسه حتي أجابت هاتفه قائلة:

- أيوة يا طارق.

- إزيك يا ليلي.

- الحمد لله تمام، هو فيه حاجة ولا إيه ؟!

صمت قليلاً و هي تنتظره علي الجانب الآخر فاستطرد قائلاً:

- ليلي أنا آسف.

همت لتقول شيئاً فلم يعطها فرصة لأنه يعلم سؤالها و استكمل قائلاً:

- آسف علي كل حاجة عملتها غلط، آسف علي الصورة السيئة اللي بتشوفيني بيها كل يوم و علي الضغط اللي بتتعرضي له بسببي، أنا يمكن أكون شخص سيء و حقير بس أنا حقيقي اتغيرت، لو مش موافقة تتجوزيني بلاش، بس أرجوكي اقفي جنبي أنا بصفي كل حاجة و هبدأ من جديد، في الفترة الأخيرة انا اكتشفت اني وحيد مليش صديق ولا حبيب مليش حد فأرجوكي متسيبنيش لوحدي.

صمتت لوهلة متأثرة بما تسمع و مذهولة بالكبرياء الذي يُهدم أمامها، لم تجد سوي أن تهون عليه قليلاً فقالت:

- يا طارق إحنا كلنا جنبك ليه بتقول كدة! و لو عليا انا مش هزعل منك طول مانت في طريقك للأحسن.

إبتسم طارق ابتسامة صامتة تعبيراً عن سعادته بالكلمات القليلة التي تبشر بتحسن شيء كان غاية في السوء و هو ما يبشر بالأفضل في الأيام القادمة، شكرها و لم يرد أن يطيل فأنهي حديثه سريعاً.
أما ليلي فكانت مندهشة من التحول الغريب الذي حدث لطارق، لم تكن تتخيل أنها ستري هذا الوحش الجبار خاضع و ساكن في يوم من الأيام، لم تكن تعرف مدي صحة تصرفها و مناسبته للموقف و لكنها عادةً تتصرف في مواقف عديدة بتلقائية نابعة من الطيبة و الحسن اللذان يملآن فؤادها و يفيضان منه علي كل من يحيط بها، فبرغم ما كانت متأثرة به نفسياً فإنها قادرة علي التخفيف و التهوين عن البعض، كانت إنسانة جميلة حقاً بكل ما تحمل الكلمة من معني، لم تكن تستحق أن تري سوءاً في حياتها لو لم يكن قدرها المكتوب فرض عليها ذلك، مهما يحيط بها من أسي فإنها لا ترد طارقاً أبداً، كانت سعيدة لأن طارق بدأ في التغير و لم تكن لتصدق علي ذلك قبل أن تسمع نبرة صوته المتألمة النابعة من أعماق قلبه الذي مل الجدية و الصرامة و افتقد العاطفة و الإنسانية، بالطبع كان يجب عليها أن تتخذ موقفاً كموقفها هذا، فطارق مهما كان فهو إبن خالتها قبل أي شيء لذا كان لزاماً عليها مساندته في محنته.
عن نفسها فلم تهتدي إلي أي خطط مستقبلية، كان هدفها هو التركيز في الإمتحانات التي اقتربت لتخرج منها بأقل الخسائر

الممكنة، عاصم كان دائم السؤال عنها و الإهتمام بأمرها، أخبرها أنه سيحضر لها كل ما فاتها من المحاضرات لتستعد للإمتحانات، يحاول أن يتصرف بشيء من اللطف المخضب بقطرات الإشفاق، كانت تراه شخصاً لطيفاً و لكنه قابلها في وقت ليس من المفترض أن تقابله فيه، ربما لو كانت قابلته في مرحلة أخري فكان من المحتمل أن يحدث تطور ما في علاقتهما و لكنها الآن غير مستعدة لأشياءٍ كهذه علي الإطلاق، هي كانت تشبه قائد الحرب العائد لتوه من المعركة فيحاول أن يلملم خسائره و يحصر غنائمه، كانت تري في الأيام المقبلة من حياتها تغيرات جديدة ينبغي أن تستعد لها، ينبغي أيضاً أن تخطط لحياتها كيف ستسير بعدما فقدت أشياء كثيرة لم تكن تدرك كيف يمكن لفقدانها أن يكون، من المؤكد أن الحياة تخبيء لها الكثير من الفرح و السرور، حاولت أن تقترب أكثر من والدتها و أن تـهيء سبل للتعامل السوي بينهما كما ينبغي أن تكون علاقة فتاة بوالدتها مليئة بالحب و المودة و الإحترام، فبعد وفاة شريف رضوان لم يعد هناك رفيقاً ثالثاً لهما فلم يجدا بداً من إعادة هيكلة شكل التعامل بينهما ليعيدا الدفء لمكاناً كان من الفرح و السعادة جافاً مقفراً.

مرت عليها الأيام و هي لا تزال جليسة ببيتها، لم تجد عملاً مناسباً بعد، و محاولات الجريدة لإعادتها للعمل مرة أخري لم تجد لغير الفشل مصيراً، كانت مصممة علي الإبتعاد بعزمٍ شديد فلم تغريها

عروض زيادة الراتب أو أشياء كهذه، دارين كانت تبحث عن قيمتها . . عن العمل الذي سيمكنها من التأثير في الناس و التغيير في سلوكهم للأفضل، و لم تجد في إعداد التقارير و تسليمها تحقيقاً لذلك، فكرت كثيراً أن تغادر القاهرة و تعود لأهلها في الإسكندرية و تترك كل هذه الضغوط و الوحدة القاسية التي شعرت بها حقاً عندما تركت العمل و التزمت المنزل، و هي هنا لا أصدقاء لها إلا قلائل فكانت أحياناً تستغل فرصة خروجها لشراء إحتياجاتها من الخارج في أن تسير بضعة دقائق في الشوارع الهادئة في الجوار لتستنشق بعضاً من الهواء البارد في المساء دون أن تستغرق في ذلك طويلاً، و الحق أنها كثيراً ما أرادت أن تبقي بالخارج طويلاً، فشخصيتها كانت مُحبة للحياة و ذائقة للجمال، كانت لديها القدرة علي النظر للأشياء بزاوية لا يمكن أن يدركها سواها، روحاً قابلة للإبداع و الخروج عن النمطية فلم تجد سبيلاً لأن تخرج ما يميزها عن غيرها و يُثنيها، وجدت أن المتبع هو عدم الإختلاف و التميز، ينبغي أن نفعل جميعاً نفس الشيء و لا ينبغي أن نتفاوت فيما بيننا، لذلك كانت مؤمنة بأنها اتخذت القرار المثالي في هذه الظروف دون أن تفكر في العواقب، و بالرغم من أنها لم تعتاد مثل هذه العفوية في التفكير فإنها كانت علي يقين أنها ستصيب هذه المرة لأن أي شيء سيحدث سيكون أهون من أن تستيقظ كل صباح لتقوم بما لا تحبه ولا تهواه، فالحياة أقصر مما

نتخيل حتي نقضي سنوات من عمرنا و نحن نهجر ما يميزنا من أجل عملٍ متاح.

كان رمزي قد ذهب لزيارة بعض أصدقائه و الدكتور عبد العزيز لم يأتي من المصحة بعد، جلس عمر وحيداً و قد أُتيحت له الفرصة كي يفكر في الحياة و ما بها، منذ أن عرف بخبر انتحار شريف رضوان لم يذهب للمكتب رغم استقباله عدة اتصالات تطالب بعودته، كان قد وضع آمالاً كبيرة علي تلك القضية فكان يراها هي الجسر الذي سيعبر منه إلي المجد الأكيد، ما حدث جاء مخالفاً لجميع توقعاته فكانت صدمته في فقدان فرصة لا يعلم إن كانت ستأتيه مرةً أخري أم لا، كان يعي ضرورة عودته للمكتب مرة أخري ليستكمل عمله و تعود الحياة لطبيعتها و لكنه كان مبالغاً بعض الشيء علي غير عادته في تقدير الأمور، كان الحزن يسكنه و كأنه أحد أقارب المتوفي الذين أحزنهم فراق الفقيد، فعمر فلم يكن هناك مبرر لتلك العزلة التي يعشقها و ينتظر عدم سير الأمور كما يريد كي يلجأ لها، و كأن علي القدر دائماً أن يرضيه حتي لا يهرب و يلجأ إليها، و لم يكن الهروب أبداً وسيلة ولا أسلوب للمواجهة، كان بحاجة لأن يدرك بأن الحياة حتماً ستسير به أو بدونه، عمر كان يشعر دائماً برغبة جامحة تجذبه نحو الإعتزال و ترك كل شيء، كان يبذل مجهوداً شاقاً لتحقيق قدراً من التواصل بينه و بين الناس، لم يكن انطوائياً و

لكنه كان لديه شعورٌ ملازم بأنه أقل ممن يحيطون به، بداخله قناعة بأنه لم يكن ذو قدرٍ عظيم و لم يكُ ذو قيمة لذلك كانت تلك القضية بالنسبة له هي الأمل الوحيد فعندما اختفت عاد لما كان عليه مرةً أخري متسلحاً بعزلته التي لا يملّها و لا تمله.

كان يفكر سائراً في الشقة كما اعتاد أن يفعل عندما يكون وحيداً لا يلاحظ أحد تحركاته فسمع صوت ما يناديه من ناحية الشرفة، شعر باللإرتياب قليلاً و ركز حواسه في اتجاه الصوت فوجده يتكرر مرةً أخري، ذهب في الإتجاه و قلبه يرتجف بضرباته السريعة، دخل فلم يجد أحداً . . وضع يده علي السور و نظر لأسفل حتي يري إذا كان هناك أحداً يناديه فوجدها هي، وجود الشقة في الطابق الأول كان فرصةً لها لأن تراه رؤيةً جلية، و ما إن رآها حتي فوجيء و هجرته مشاعر الخوف و الريبة ليحل مكانها المفاجأة و الإندهاش، كانت تنظر له صامتةً و علي وجهها ما عهده منها من ابتسامة مشرقة يكتنفها شيء من الخجل تحسباً لرد فعله الغير متوقع كشخص حاد في عباراته و عاطفته، لم يتحدث إليها إلا بصوت منخفض يسألها عما أتي بها إلي هنا في هذا الوقت، فما كان منها سوي ابتسامة أكبر من الأولي و هي ترد بتلقائية قائلة:

- بقالك فترة جاي علي بالي و كنت عايزة اشوفك.

سألها كيف اهتدت إلي منزله و هو لم يخبرها عنه أية تفاصيل فلم تجبه سوي بعبارات مازحة لا تسمن و لا تغني من جوع.

كانت تريده أن ينزل إليها فأخبرها أنه بحالة غير مناسبة للإنطلاق و التنزه و أنه لم يكن مُهيئاً لواحدة من تلك الجولات المجنونة، كان مستغرقاً في محاولات إقناعها بالذهاب عندما وجد من يربت علي كتفه من الخلف فانتفض مفزوعاً ليجد خاله مبتسماً و هو يقول:

- عمال اخبط ع الباب بقالي ساعة مبتفتحش ليه، و بعدين إيه اللي موقفك في البلكونة بتكلم نفسك كدة.

ضحك عمر ضحكة خفيفة و أخبره بأنه كان يتحدث مع إحدي صديقاته، فانفزع خاله مستنكراً و هو يقول:

- فين صاحبتك دي !! أنا شاورت لك و انا طالع وانت باصص في الأرض بتكلم نفسك ولا انت هنا.

صمت عمر و ارتاب قليلاً فالتف ليخبرها بأن ترحل الآن فوجدها تلوح له من بعيد، أما خاله فكان وجهه متجهماً مستنكراً يريد أن يفهم ما يجري، بينما عمر كان يحاول الهروب منه بقدر الإمكان فلم يفلح، في تلك اللحظة كان أحداً يطرق الباب فذهب الدكتور عبد العزيز ليري من الطارق فوجده رمزي، كان وجهه حاداً فرحب به الدتور عبد العزيز و سأله عما في الأمر، فانفرد به رمزي متعمداً حتي يكون ما سيقوله بعيداً عن مسامع عمر فدخلا سوياً إلي غرفة الدكتور عبد العزيز . . أغلق رمزي الباب و شرع في الحديث قائلاً:

- بعد ما مشيت من عند صحابي قلت اعدي علي مكتب ضياء عرفة علي العنوان اللي قالي عليه عمر، أول ما وصلت بتكلم مع واحد هناك فا بعرفه بنفسي إني من طرف الأستاذ عمر و هو محامي بيشتغل هنا، قالي إن مفيش محامي عندهم اسمه عمر .. مفيش حد اسمه عمر غير واحد بيشتغل بيعتوه يجيب ورق و يستقبل تليفونات و مبيجيش غير أيام قليلة في الإسبوع كمان.

صمت رمزي فأصيب الدكتور عبد العزيز بصدمة لم يكن يتخيلها و قد أدرك كل شيء بصفته خبيراً في النفس الإنسانية، لم يكن يعرف إن كان سيحكي لرمزي عما رآه لتوه أم يتروي قليلاً حتي يتأكد من ظنونه التي لا يمكن لتكون إلا حقاً، و لكنه لم يستطع أن يصدقها و قد كانت الشكوك تدور بعقله و تلك الرواية التي ألقاها عليه رمزي كانت كافية لتؤكد إحساسه الذي يلازمه منذ فترة بأن عمر يعاني مشاكل نفسية تبوح بها جميع تصرفاته التي تتحكم بها أعراض مرض الفصام الذي يعاني منه عمر و قد كانت رواية رمزي خير دليل.

كانت جالسة في غرفتها بعد أن قضت عدة أيام في استذكار ما فاتها بانتظام، بدأت تنحي العاطفة جانباً و تكون عملية بعض الشئ لتستعيد التركيز المطلوب بشدة في هذه المرحلة، كانت تعي جيداً ضرورة أن يكون المرء واقعياً في أسلوب تفكيره و في تصوراته المستقبلية، أن يترك ما قد يعرقله في طريقه مهما كان

عزيزاً، كانت جالسة و بداخلها فرحة و سعادة، بالرغم من أن ما تفعله هو شيء اعتيادي بالنسبة لآخرين فإنها كانت تفتقد شعور الإيجابية في فعل الشيء و مدي جدواه و أهميته، كانت تفتقد إلي الإستيقاظ صباحاً من أجل هدف يتطلب السعي و العمل، كانت تشعر جيداً بقيمة الوقت لأول مرة منذ فترت، أن ينتهي بها اليوم و يأتي المساء فتجد نفسها أنجزت شيئاً قد يكون له أثر في حياتها، إنه من الضروري ألا يمر علي الإنسان يوماً واحداً دون أن يضيف إلي نفسه شيئاً جديدة، هذا النوع من العمل و الإجتهاد يبرز قيمة الإنسان و أهمية وجوده لنفسه قبل أي شيء.

أثناء استغراقها في ما كان يشغلها و يجذبها اجتذاباً قطع اندماجها طرقات هادئة علي باب غرفتها تبعتها دخول والدتها لتخبرها بأن طارق قد جاء ليتناول معهم الغداء، هزت رأسها تعبيراً عن أنها ستأتي فانصرفت والدتها، أنهت ما كانت بدأته و خرجت للترحيب بالضيف، لم تهتم بهيئتها كثيراً فطارق ليس غريباً عنهم و في الوقت ذاته لم يكن ينبغي لها أن تبدو متأنقة في ظهورها و لم يمر علي وفاة زوج والدتها الكثير، خرجت من غرفتها فوجدته جالساً في الخارج لامعاً متألقاً كما لم يبدو من قبل و ما إن رآها حتي اتسعت بسمته و لمعت عيناه كعادته عندما يراها، فقام من جلسته و ألقي عليها السلام بنبرةٍ هادئة و ملامح تلقائية

السماحة لم تعهد أحدهم منه من قبل. جلست علي الكرسي المجاور له بينما كان مفتعلاً الإنشغال بمشاهدة التلفزيون فبدأ يصرف نفسه شيئاً فشيئاً منه إليها و يحدثها عن الكلية و عن ما تنوي لتفعله في الفترة القادمة، بينما كانت هي تبدو له و كأنها أحداً لم يعرفه أو شخص وجد من جديد، وجد منها حديثاً لم يألفه بتلك التفاصيل و لا بتلك الإستجابة و القبول، بدأ يحدثها عن ماضيه الذي هُدم و مستقبله الذي يخطط له و التغير الذي آل إليه في حياته، فكانت منصتة باهتمام لم يثنيها عن ملاحظة تغيرات لم تُباح و لا ينبغي لها أن تكون، يجلس أمامها شخصاً طموحاً لم تراه مبهراً هكذا من قبل، كانت هناك ثقوباً في شخصيته مُلئت عطفاً و حباً و تسامحاً، صمت قليلاً و كانت والدتها تُحضر الطعام فكان الهدوء سائداً عندما انبعثت موسيقا ما عشوائياً من التلفزيون الذي ركزا بصرهما فيه لبرهة، و بقلبٍ سريع النبضات و بتلقائيةٍ صادقة إلتفت إليها فأدركته فابتسم قائلاً:

- ليلي . . تتجوزيني؟

أشاحت ببصرها بعيداً و تدفق الدم غزيراً في ثنايا وجهها فاحمرت و جنتيها خجلاً و أصدرت عينيها بريقاً، بلغت من الحياء قمته و هي تجاهد ابتسامة تناضل من أجل أن تُضيء وجهها، قامت متعمدة عدم النظر إليه و هي تقول:

- أنا هقوم أشوف ماما خلصت ولا لسة.

هز رأسه مبتسماً و هو يتبعها بنظرات نمّت عن مستقبلٍ مليءٍ بالحب و الأمل.
طويت بعض الصفحات التي أتمت قراءتها و توقفت مبتسمة و قد بدأت تدرك الأمور جليةً، لم تكن تتخيل أن الأحداث ستسير هكذا و أنها ستجد نفسها يوماً ما مُجسدة في إحدي الشخصيات التي تقرأها، المفاجأة كانت جميلة بقدر ما أحاط بها من شجن الحنين لأيام الماضي و التي لم تكن تحمل ما يذكرها بها، كانت سعيدة بما حدث و لكنها كانت تسأل نفسها من الذي كتب كل هذه الأحداث و أرسلها إليها؟ و لماذا لم يرد أن يكشف عن هويته؟ طوال هذه الفترة لم تستقبل أي شيء من مرسل هذه الرواية الذي ينبغي أن تعرفه، إقتربت من النهاية فكانت تلتهم الصفحات التهاماً و بداخلها رغبةً مُلحة في معرفة من هو خلف السطور.
مرت عدة أيام قضاها عمر ملازماً غرفته رافضاً كل محاولات الحديث معه سواء كانت من خاله أو رمزي، كان مستنكراً بشدة عدم رؤية خاله لتلك الفتاه عندما كانت تحادثه، لم يفهم معني أنه كان يتحدث مع نفسه بعد، بالتأكيد كان خاله يمزح أو اتخذ من ذلك سبيلاً للمداعبة لم يكن عمر مهيئاً إليه بسبب حالة التوتر التي التي كانت تحيطه وقتئذٍ، كان يسمع رمزي و خاله يتبادلان الحديث بصوتٍ منخفض لم يستطع أن يتبين فحواه، أراد

أن يخرج إليهم ليتفهم معني تلك الهمهمة التي مل سماعها، فتح الباب و خرج حيث كان يجلس خاله و رمزي كلٌ علي كرسي منفرد، فلما أقبل عليهم رمزي نظرا إليه متأهبين لما بدا منه من كلمات توشك علي الإلقاء، نظر إليهم عمر بارتباكٍ شديد غير معلوم المصدر ثم تحدث قائلاً:

- أنا عايز افهم بقي انتوا كل شوية تتكلموا عليا تقولوا إيه، علي فكرة انا سمعتكم و شكلكوا بقي وحش أوي.

نظر كل منهما للآخر متعجباً مما تلقاه مسامعهم و لا أساس له من الوجود، رمزي كان بالغ الإندهاش بينما كان الدكتور عبد العزيز يملك نظرات متسعة متفحصة حيناً و منغلقة مشفقة حيناً آخر، بينما كان عمر متوتراً توتراً دلت عليه قطرات العرق التي غطت جبينه فدعاه خاله للحديث في غرفته علي إنفراد و كان مصمماً علي ذلك فلم يرد له أن يكون موقفه محرجاً أمام رمزي الذي لم يعهد عمر سوي إنساناً سوياً هادئاً لا تتملكه تلك الحالة من الغرابة و لا تلك العبارات الحادة المهينة، إمتنع عمر في البداية و لكن مع تصميم خاله لم يجد مجالاً للرفض فدخل برفقته مغلقاً الباب من وراءه.

كان ينظر لخاله بترقب و كأنه شخص غير مألوف بالنسبة له، حاول الدكتور عبد العزيز أن يُطفيء لهيب ثورته حتي يستطيع أن يتحدث معه في سبيل إعطاؤه تصريحاً غير مباشراً بحقيقة

مرضه، عمر لم يبدو مستعداً لإجراء أي حديث، كان في حالةٍ يُرثي لها حقاً، ظل الدكتور عبد العزيز صامتاً لعدة دقائق حتي هدأ عمر قليلاً و بدأ في الحديث، حاول ألا يقولها له صريحةً فبدأ يحدثه عن ما رواه رمزي بخصوص عمله و عن أن بعضنا يحمل في سريرته خيالات و أوهام لا ينبغي لها أن تخرج عنها أو أن تشكل تأثيراً ملموساً في حياتنا حتي لا تتحكم بأفعالنا و طريقة تفكيرنا، و إذا خرجت هذه الأوهام عن محيط خيالنا فهذا يعتبر مرضاً و يلزم المعالجة، لم يحتمل عمر سماع كلمة -مرض- فثار مجدداً مستنكراً بشدة تلك الطريقة في الحديث و كأنه يتعامل مع شخص مجنون أو طفل صغير، ركل باب الغرفة بقدمه و خرج صائحاً بصوتٍ مرتفع، فوجيء رمزي عندما رآه بهذه الحالة و حاول تهدئته فلم يستطع، أخذ عمر يضرب في آثاث المنزل و يحطم كل ما هو قابل للكسر، كان يبدو و كأنه خارج عن الوعي و قد فقد السيطرة علي نفسه فخرج من المنزل مسرعاً و خلفه نظرات الدكتور عبد العزيز و رمزي المليئة بالحزن و الإشفاق.

ظل يركض مسرعاً دون أن يعرف وجهته، كان كل تفكيره هو أن يبتعد عن تلك الحقيقة المرة المتمثلة في حديث خاله بالهروب بما يملكه من وسائل و هو الركض، لذلك لم يكن يهمه إلي أين سيذهب و لكن كان الأهم بالنسبة له هو الإبتعاد عن هذا الموقف بأكبر مسافة ممكنة حتي شعر بالإرهاق و توقفت قدماه

عن الحركة فجلس علي إحدي المقاعد الخشبية المتمركزة علي جانبي الطريق، جلس يبكي كثيراً بحزن و يأس و حسرة علي حاله المثير للشفقة و علي أحلامه التي كانت آمالاً مشرقة و باتت أوهاماً مبددة، لم يستطع أن يتخيل أن تلك الفتاة التي حملت له السعادة بين يديها غير موجودة، أيُعقل أن تكون كل هذه الضحكات التي اهتز لها قلبه غير حقيقية! و ماذا عن الأماكن التي ارتادها لأول مرة، هل كان يذهب وحيداً؟! لماذا تكون الأشياء جميلة هكذا عندما تكون خيالاً؟ لم يصدق أن عمله في المكتب لم يكن كما يظن، لم يتولي قضية شريف رضوان و لا كل هذا، بل كان يذهب لمنزله لإحضار أوراقاً تخص القضية لا أكثر ولا أقل، فقد كان مهمشاً و لم يصبح غير ذلك، لا تزال تلك الفتاة تظهر له و هو جالس فينظر لها بعينٍ متسائلة:
لماذا الخيالُ أنتِ و لم لستُ أنا خيالاً ؟

بعد مرور عدة أشهر. .
-إبريل ٢٠٠٥. .

هذه الكلمات أكتبها لأيامي الماضية التي كان يشوبها الحزن و الملل و الإستياء، ربما كان هذا ابتلاءً ثقيلاً و لكن الإبتلاء لا يأتي إلا ليبشر بأن هناك شيئاً جميلاً في المستقبل، لقد تزوجت من

طارق، أدركت مؤخراً أنه كان يحبني أكثر مما كنت أتخيل، طارق يحبني أكثر مما ينبغي أن يكون، و أنا أيضاً أحبه و أحب إدراكه الفطن لما كان يعيبه و ما تبعه من تغيرات جذرية جعلته لامعاً في نظري و في نظر الجميع، لقد قاربت علي الإنتهاء من دراستي بعد مجهودٍ شاق، فهمت كم كنت ساذجة عندما كنت أغضب بسبب حدوث مشكلة ما، لم أكن أدرك أن المشكلات التي نقابلها في حياتنا ما هي إلا تحدي لنا و بلا شك هناك قدراً من الفائدة يكمن في مثل هذه المواقف، الحياة بلا صعاب لا طعم لها و لا لون، فالأمور لا تسير يسيرة و لا عسيرة للأبد، عاهدت نفسي علي الإستمتاع بحياتي و أيامي المتبقية، لن أدع شيئاً يقف حائلاً بيني و بين سعادتي، أتمني من كل قلبي أن يرزقني الله أبناءاً أستمد منهم قيمتي في الحياة و أعلمهم أن يكونوا صامدين أمام أي صعب، ألا يخشوا شيئاً و لا أحد، أن يعطوا الفرصة لمن يستحق و ألا يستسلموا، أن يسعوا لأن يكون لهم أثر في الحياة كما أفعل أنا فعندما نرحل يذكرنا الناس بشيٍ ما كنا نفعله. -

* * * * * *

كانت دارين تقضي أيامها ذهاباً و إياباً بين الإسكندرية و القاهرة، تود أهلها و أقاربها هنا و تبحث عن عمل جديد هناك، كانت تشعر بشيء من تأنيب الضمير علي ما ضيعته من بين أيديها خاصةً و أنها بدأت تعاني من أزمات مالية بسبب إقامتها بالقاهرة،

أحياناً كانت تحيط بها وساوس بأن ما فعلته لم يكن صواباً، كانت تقضي أغلب أوقاتها في الكتابة، تحضر الأوراق و تجلس لتكتب ما يطرأ علي ذهنها، في البداية كان الأمر مجرد شغف و لكن مع مرور الأيام أصبحت الكتابة شيئاً أساسي في يومها لا يتم إلا بدونه، بدأت توظف مجهودها في أشياء أكثر تنظيماً فتحولت الكتابات من مجرد خواطر إلي مجموعة من القصص القصيرة التي كانت تجد متعة كبيرة في سردها، مرت أسابيع فشهور حتي انتهت من مجموعتها القصصية و تم نشرها فعاد إسمها يُطبع علي الأوراق و الأغلفة من جديد، كان الأمر بمثابة رد اعتبار لها بعد أن بدأت تفقد الثقة في نفسها و في قراراتها، و في يومٍ ما كانت تناقش الكتاب في حفلة توقيع و عندما انتهت و بدأت تعد نفسها للرحيل وجدت فتاة تسير نحوها علي استحياء بخطي هزيلة، فنظرت إليها متعجبة فتحدثت الفتاة في خجل بأنها لديها قصة ما تريد أن ترويها عليها لعل و عسي أن تستطيع دارين مساعدتها بأي شيء، جلست الفتاة تروي و بدأت تستمع إليها بشيء من الإستمتاع و التلذذ بالتفاصيل، فلما انتهت الفتاة من سرد قصتها أخبرتها دارين بأنها تريد أن تنشر هذه القصة في شكل روائي فلم تمتنع الفتاة إطلاقاً و أظهرت ترحيباً بذلك، و من هنا بدأت رحلة طويلة في نقل قصص واقعية من حياة أصحابها لتقوم دارين بدور الجسر الذي يصل بين الرواه و الناس في مسيرة كانت

حافلة بكل أنواع المشاعر التي انبعثت من التجارب المختلفة.
لم يجد عمر أمامه سوي الإستماع لكلام خاله إليه و مصارحته بمشكلته التي بدت واقعية و أقرب للتصديق، في الفترات الماضية عمر كان تائهاً غير مدرك بأشياء كثيرة كانت تدور من حوله، لم ينتبه لهجره هوايته المفضلة بدون سبب واقعي يحث علي ذلك، كذلك انغماسه في مجال الفلسفة و علم النفس و الإنجراف في كتب و مراجع دون أن يقصد موضوعاً معيناً فكان متخذ سبيلاً لا يتخذه سوي المتخصصين، لم يستطع أن يعترف بأنه لم يجد وظيفة محاماه و لكنه عمل في مكتب ضياء عرفة بوظيفة لا عنوان لها، لم يصدق تلك الحقيقة القاسية و لم يتعامل معها بشكل واقعي فأبي عقله إلا أن يعتبره محامياً مرموقاً يتولي القضايا الهامة، كانت كلمات الدكتور عبد العزيز تنهال عليه كقطع الزجاج الحادة التي تصيب و لا تخطيء، كانت الصدمة تكمن في إدراكه المتأخر بأنه كان يعيش متوهماً في واقعٍ رسمه بذات العقل الذي رفض التأقلم مع الظروف، كان حزين كًل الحزن علي أيامه التي ضاعت هباءً و علي معشوقة خياله التي لم تجد في الواقع لها مكاناً فهي ليس من الممكن أن تكون واقعية أبداً، فالواقع لم يعد مكاناً ملائماً لمثل هذه الشخصيات الحالمة.
إستسلم أخيراً للإنتقال للمصحة ليستطيع الحصول علي الرعاية اللازمة تحت إشراف الدكتور عبد العزيز، و علي عكس ما توقع

كانت أيامه في المصحة لطيفة، فقد وجد هناك أصدقاءً له و وجد فيهم أشخاصاً لابد و أن تكتسب، فقد كان يقضي معهم أوقاتاً جميلة مليئة بالضحك و السرور، و وجود خاله بجواره في نفس المكان خفف عنه حدة الغربة و جعله يألف المكان سريعاً، لا ينكر أنها أحياناً كانت تأتيه في بعض الليالي الهادئة تجلس بجواره و تنظر له مشفقةً أو ترقص في زاويةٍ ما ينبعث منها ظلالاً لها تملأ الحائط المقابل له حركةً و حياة، كان يراها عندما يأكل و يتحدث و عندما يجلس وحيداً فلم تكن تريد أن تبرح خياله بل لم يرد أن ينساها، فكان الدكتور عبد العزيز دائم التذكير له بأن كل ما يراه هو نابع من مخيلته ولا وجود له، فكان يحاول الإقتناع و ليس أمامه غيره، كان يحاول الإنشغال عنها و عن أوهامه بأن بدأ تسجيل و تدوين يومياته في المصحة، الأمر الذي بات هزلياً بعض الشيء لأنه وجد نفسه يكتب عنها نثراً و شعراً بل في بعض الأحيان كان يراها جالسةً أمامه فيرسمها، و لكنه لم يتوقف لأنه وجد في الكتابة تنفيثاً عن المشاعر السلبية التي بداخله فاكتشف شغفاً لديه لم يكن يعرفه و أصبحت لديه متعة ليلية خاصة به و بأوراقه و بها عندما تتجلي أحياناً.

في يومٍ ما إستيقظ في الصباح ليجد بعضاً من الصحافيين الذين أتوا لإجراء تقريراً صحافياً عن وضع المصحات النفسية الخاصة و التعرف علي مشكلات بعض المرضي فيما يتعلق بالرعاية و الإشراف،

لم يظهر اهتماماً كبيراً و حاول الإبتعاد عنهم قدر الإمكان، و أثناء ما كان يراقب المشهد من بعيد وجد من بين هؤلاء شخصاً يعرفه حاول أن يتذكر جيداً فعرف أنها دارين، كانت من بين هؤلاء تمارس عملها في خفة و نشاط كعادتها لم يكن يريدها أن تراه و لكن في لحظة ما و بينما كانت تقلب النظر من وجه لآخر وقع بصرها علي عمر في المنتصف، إتسعت عينيها دهشةً فابتسم عمر خجلاً، أقبلت نحوه و عينيها تفيض بألف سؤال، حكي لها عن كل ما حدث له دون تردد و أخبرته هي الأخري عن عملها الروائي الفريد و عن الجريدة الجديدة التي تعمل لديها بعد أن تركت سابقتها، أبدي إعجاباً شديداً بالتغيير الذي أحدثته في حياتها و شجعها علي المواصلة في هذا العمل الرائع و تركها لتواصل إنجاز ما أتت من أجله.

مضت الأيام و بات خروج عمر من المصحة وشيكاً بعد أن اقترب من تماثل الشفاء و قد كان هناك تقليداً متبعاً في المصحة و هو أن المريض عندما يقترب موعد خروجه يجلس أمام زملاؤه يحدثهم عن تجربته و عن الدروس المستفادة منها، فجلس جميع المرضي الذين أصابهم الحزن لإقتراب موعد خروجه بينما جلس عمر أمامهم متوتراً و مرتبكاً فهو لم يتحدث أمام مجموعة من الناس من قبل، و لكنه أجبر نفسه علي اعتياد الأمر و بدأ في الحديث. .

- أنا إسمي عمر عبد الله، أغلبكم عارفني أنا كنت مصاب بانفصام

الشخصية، حكايتي باختصار إني كان نفسي أكون شخص ناجح، و كنت بشوف مقياس النجاح في مجالي هو إني أكون محامي كبير و مشهور و لكن الواقع كان مختلف تماماً عن اللي في بالي، و مقدرتش أتعايش مع دة، أنا كنت مقتنع لفترة كبيرة إني بشتغل محامي كبير فعلاً و بشتغل علي قضية كبيرة و في مكتب مشهور، و الحقيقة كانت إني بشتغل في المكتب أه بس مش محامي- قالها بضحكة ساخرة - هي شغلانة كدة ممكن نسميها -مرمطون- يعني بروح أنقل ورق . . أشتري احتياجات للمكتب، حياتي كانت عبارة عن وهم حتي البنت اللي ألهمتني و حبيت الحياة من خلالها طلعت سراب ملهاش وجود غير في خيالي.

بدا عمر متأثراً بشدة و هو يروي تفاصيله، طالع أوجه المستمعين فوجد لديهم نفس التأثر، كان يبدو في تلك الجلسة ضعيفاً مسكيناً لأبعد الحدود كان يروي الأحداث عشوائياً كالأطفال، ملامح البراءة التي ارتسمت علي وجهه كانت سبباً في تعاطف الجميع معه حتي من هم أكثر منه هماً و معاناةً، إستجمع قواه من جديد و واصل الحديث قائلاً:

- أنا حقيقي متضايق إنها مش موجودة، بحاول أتعايش مع فكرة عدم وجودها لكن أوقات بحس إن الموضوع أكبر من قدراتي، أنا مكنتش متخيل إني هوصل للحالة دي في يوم من الأيام، يمكن من أهم الدروس اللي اتعلمتها من التجربة دي هو إن الحياة قاسية

و مش سهلة أبداً، مفيش مكان لشخص عايش حياته كلها خيال و أحلام، و الشخص دة عمره ما هيحقق شيء فالطريق بينه و بين أحلامه زي الطريق إلي القمر ، أنا لو كنت رضيت بحقيقتي و بعدت عن الطريق دة أكيد كنت هبقي أحسن، الأحلام مش بيحققها غير الشخص اللي بيشتغل بجد و بيرفض الأعذار، أنا اتعلمت إن كل إنسان لازم يكون له قيمة في حياته، عنده دور مهم بيأديه و عدم وجوده هيفرق عشان لما يموت تفضل ذكراه حية مهما مر عليها سنين، لو هتسألوني نفسي في إيه دلوقتي هقولكوا كان نفسي والدي و والدتي يكونوا موجودين، الحياة من غيرهم فقدت كتير من معانيها، أنا عايزكم تعرفوا إني بحبكم جداً و نفسي لما أي حد يجي مكاني هنا و يتكلم عن نفسه يفتكرني و يفتكر قد إيه كنت بحبه. .

كانت عينيه مُرقرقة بالدموع التي ترغب في أن تروي جفاف الأيام المستشري بين ثنايا وجهه المنكسر، كان المشهد مؤثراً فرآها تقف بعيداً متأثرة بكلماته مشفقة عليه، فحاول أن يبعد نظره عنها فلم يستطع فقام من جلسته بعد ما ودع زملائه ليستعد للرحيل.

بعد خروجه عمل مع رمزي بعد أن أتم نقل جميع أعماله إلي القاهرة و قرر الإستقرار فيها، بدأ رمزي في بناء منزل في أحد الأحياء الجديدة تمهيداً لإنتقاله هو و عمر و الدكتور عبد العزيز

بعيداً عن ذلك المنزل الذي كان يحمل ذكريات حزينة لهم و كان لابد من محيها.

* * * * * *

دمعت عينيها و قاربت علي البكاء، لم تكن متخيلة أن الأمور ستسير هكذا يوماً، عمر كان يبدو واثقاً من خطاه، يتحدث بلباقة و بدقة لم يكن يبدو عليه أن يكون هكذا، و كان يسرها ذكرها كأحد شخصيات القصة، كانت جالسة علي مقربة من البحر في الإسكندرية و كان الهواء رائعاً و هي تقرأ آخر صفحات تلك الرواية فغاصت مجدداً بين الكلمات تتحسس الطريق إلي النهاية.

بعد أن استقر عمر برفقة رمزي و خاله في منزلهم الجديد كان يواصل ما بدأه في المصحة من كتابات يومية عن حياته و تجاربه، وجد هناك مؤلفاً أدبياً ينمو بين يديه فكان يضيف إليه كل يوم بعضاً مما تُثريه خواطره من شخصيات مختلفة، صار سعيداً بما صنعت يداه و اتخذ قراراً بنشره، جال بخاطره ما حدثته به دارين عن عملها الجديد فقرر أن يُراسلها بخصوص هذا الأمر.

* * * * * *

صديقتي نور . . إذا وصلتي إلي هذه السطور الأخيرة فعليكِ أن تعلمي أنني سعيد جداً بهذا، بين يديكي الآن فترة صعبة من

حياتي حاولت أن أذكر كل تفاصيلها و ألا أنسي شيئاً، أتمني أن إسم -دارين رياض- قد نال إعجابك، أريد أن أعتذر عن عدم مقابلتي لك عندما جئتي لمنزلنا الجديد، فأنا لا زلت أعاني دون أن أشكو لأحد، لا أريد أن يعرفوا أنني لم أُشفي تماماً فأعود للمصحة مجدداً، لقد سئمت كوني مريضاً، تلك الفتاة لم تتركني بعد فهي تنظر لي الآن و أنا أكتب إليكي هذه الكلمات، فأنا في مرحلة لا أعلم من الحقيقي و من الخيال من حولي، لن تصدقيني إن أخبرتك أنني كنت أريد أن أتأكد أنكِ حقيقية و بإمكان أُناس غيري أن يتحدثوا معكِ، لقد أرسلت إليكي الرواية بنفسي فأنا من تركتها خلف الباب، كل ما أريده منك هو نشر هذه الرواية، أريد أن يكون لي أثر بسيط في حياة البعض، أنا بحاجة لتحقيق إنجاز شخصي، أعتقد أن تجربتي ستُفيد البعض بأي شيء، فهناك الكثيرون غيري ممن يعيشون في الوهم و يراقبون سحابة الأحلام و هي تطير فوق رؤوسهم دون أن يمسكوا بها، لا يزال هناك أشخاصاً يبحثون عن من يحبهم بصدق و لا يفعلون شيئاً في حياتهم سوي البحث عنه، هناك من يعتزلون الحياة و الناس و يقبعون في غرفهم المظلمة منتظرين الخلاص، هناك من يسخرون حياتهم من أجل أشخاص بعينهم و يُهملون أنفسهم أعواماً، الحياة مليئة بالهوائيين المتوهمين أصحاب الآمال الهشة، أخبريهم أن الخيال البعيد عن الواقع غير مُجدِ و أن الطريق إلي القمر ليس

بالقصير، فلنهبط من السماء قليلاً لنترك شيئاً ملموساً غير الخيال يُذكر غيرنا بنا حين نعود إليها، أعلم أن بداية روايتي كانت تبشر بقصة رومانسية دسمة و لكنني أعتذر عن عدم كونها كذلك فالواقع يحوي الكثير من الظلمات التي تحتاج لمن يكتب عنها و يرويها، و أتمني أن يأتي يوم ما أُرسل لكِ دعوة لحضور حفل زفافي علي فتاة حقيقية قابلتها في طريقي إلي القمر

* * * * * *

المراجع:

- في بيتنا مريض نفسي – د. عادل صادق

- The ICD-10 Classification of Mental and Behavioral Disorders (WHO).

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

01020439639